إلى القارئ

لم نزل نؤكد - منذ الاشهر العديدة بل منذ السنين الطويلة - أهمية الطبع والنشر بالنسبة لنهضة البلاد التونسية وانتصارها في معركة التخلف الثقافي الذي تركها فيه الاستعمار وعهود الانحطاط والرجعية ، ونذكر بما يحتاج اليه البعث الثقافي المنشود من احياء لتراثنا الفكري في جميع مجالاته واصنافه بطبع مآت بل آلاف المخطوطات وجمع شتى انواع المقالات والخروج «بالمكتبة» التونسية الثرية كما وكيفا من طور القوة الى حيز الفعل .

واذا كان من الضروري والحيوي - في هذا الصدد - أن يتسابق رجال الفكر الى التاليف ، كل في ميدانه ، وأن يجدوا المساعدات الادبية والمادية كي تظهر آثارهم للناس ، فانه من الحتمي كذلك أن نقضي على الحلقة المفقودة ونتدارك ما عاناه الجيل السابق من غبن وحسرة فننصفه ونمجد عبقريته ، التي هي قبس من عبقرية الشعب وروحه ، بنشر آثاره وربط الصلة الروحية بينه وبين شباب اليوم .

واذا كان من واجب هذا الشباب التأصل في موطن القوم والتجاوب مع روح القوم فانه من حقه كذلك أن توفر لديه الاسباب وتحقق له وسائل العمل وتذلل أمامه الصعوبات .

فاذا ما تصدى لدراسة مختلف ابواب المعرفة ورام بالخصوص التزود من الآداب فوجد في بلاده الدسم الراقي والطريف الممتع نشأ على الثقة في النفس والاعتزاز بالوطن . ذلك هو حجر الزاوية في أي مذهب من مذاهب التربية القومية .

والذي نعلمه هو ان الشركة القومية للنشر والتوزيع باذلة مجهودا في هذا الباب وان كتابة الدولة للشؤون الثقافية - التي لم يمر على تأسيسها الا عشرون شهرا تقريبا - منكبة على هذا المشكل وحريصة على جمع أهم الآثار المخطوطة وتهيئتها للطبع عن طريق الشركة القومية .

فهل يمكن ان تعطى التعليمات كي تسير الامور بأكثر سرعة وهل يمكننا أن نقترح المبادرة بنشر تاريخ ابن ضياف وخصوصا الجزء الثالث منه الذي يحتوي على أخبار ثورة ابن غذاهم التي يكون مر عليها قرن كامل في سنة 1964 أي بعد اثني عشر شهرا ؟ وهل في الامكان الاسراع بنشر ديوان الشاعر الشاذلي خزندار وآثار الاديب مصطفى آغا وغيرهما كثير .

واذا اعتبرت الشركة القومية للنشر والتوزيع أن نشر هذه المخطوطات عملية غير رابحة من الوجهة التجارية نظرا للتكاليف الباهضة وقلة عدد القراء بالنسبة لهذا النوع من المنشورات أجبنا بان دور الشركة ليس تجاريا فحسب وانه في امكانها التمتع بمنح تعويضية لهذا النوع من الكتب ، تقدمها لها الحكومة التي لا نشك في ايمانها بالثقافة الرفيعة واستعدادها لتسخير الوسائل اللازمة كي تزدهر شؤون الثقافة في هذه البلاد فتبقى منارا رفيعا يضيء البحر الابيض المتوسط وقلعة منيعة للفكر العربي الاسلامي .

الفكر

الجاحظ من خلال اسلوبه

بقلم : أحمد خالد

ان تحليل اسلوب الكاتب يمكن الدارس فى كثير من الاحيان من مزيد فهم نتاجه وثقافته واحيانا نفسيته ومدى طرافته .

وانى وان كنت اعتبر الالفاظ وسيلة لابراز المعانى والجمل اطارا لعرض الموضوع فلا أنكر ان الامتاع الفنى لا يتحقق بصورة كاملة الا باتحاد الموضوع مع الشكل . ولا ادل على هذا من قول الجاحظ الناقد « ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل » (1)

وكما أن للرسام اداة للتعبير عن الجمال فى لوحته ، فكذلك للاديب اداة فى عمله الفنى وهو قلمه اعنى لغته واسلوبه .

وسأشتغل فى هذا البحث بتحليل نماذج من جمل الجاحظ . وغرضى الخروج بفكرة عن اسلوب ابى عثمان وعبقريته فى الكتابة عامة ، وعن الاديب المفكر بصفة أعم .

فمن المتعارف ان الجاحظ كاتب ثرى . فهو فضلا عن كونه متكلما وعالما « طبيعيا » وملاحظا اجتماعيا وسياسيا وناشطا معا ، (2) اديب فنان قبل كل شيء يصبغ مواضيعه بصبغة فنية . فلا غرابة فى ان يكون اسلوب صاحبنا ثريا ، متعدد الوجوه ، مناسبا للمقام ، يؤدى المعانى اداء فنيا جميلا . لكن هل يمكن ان نحكم حكما مطردا على جملة ابى عثمان ؟

الحق ان جملته قد اتخذت أشكالا مختلفة وصورا متعددة وان كان لها صفات قارة . فعندما يتناول أبو عثمان موضوعا فانه يخوض فيه باسلوب توجيه دائما طبيعته الفنية الحرة وعساك تعلم ان الجاحظ اديب والادب فن والفن حياة والحياة حرية وانطلاق . ولم يلتزم الجاحظ الممتاز بكبير حيوية وبفرط شهوانية بطريقة واحدة ولا بمنهج معين فى جملته الزاخرة بالحياة لان الالتزام بطريقة واحدة ضبط نهائى وفى الضبط النهائى تجفيف واماتة .

---

(1) انظر « كتاب الحيوان » ج 3 ص 368 ـ ط. عبد السلام هارون

(2) انظر أ) مجلة « الفكر » السنة 6 ـ العدد ـ 7 ـ افريل 1961 «مع الجاحظ السياسى »

ب) أنظر مجلة «الفكر» السنة 8 ـ العدد 4 ـ جانفى 1963 « مع الجاحظ المفكر الاجتماعى »

فلننظر فى أساليب الجاحظ المتنوعة بالاعتماد على بعض النصوص ولنبدا باسلوبه الجدلى ٠

1) الاسلوب الجدلى :

أشار الجاحظ فى رسالته الى الفتح بن خاقان « فى مناقب الاتراك وعامة جند الخلافة » الى « أن البنوى خراسانى لان نسب الابناء نسب آبائهم » يريد أن البنوى وهو من جلب طفلا صغيرا من خرسان وربى تربية عسكرية ببغداد خراسانى من جهة الولادة ٠ وذكر ان المولى عربى لان « السنة قد نقلت الموالى الى العرب » فهم عرب بالولاء ، ثم أضاف قوله :

« ٠٠٠واذا كان الامر على ما وصفنا فالبنوى خراسانى واذا كان الخراسانى مولى والمولى عربيا ، فقد صار الخراسانى والبنوى والمولى والعربى شيئا واحدا وادنى ذلك أن يكون الذى معهم من خصال الوفاق غامرا لما معهم من خصال الخلاف بل فى معظم الامر وفى كبر الشأن وعمود النسب متفقون ، فالاتراك خراسانية وموالى الخلفاء قصرة فقد صار فضل التركى الى الجميع راجعا وصار شرفه الى شرفهم زائدا ٠ واذا عرف سائر الاجناد ذلك سامحت النفوس وذهب التعقيد ومات الضغن وانقطع سبب الاستثقال ، فلم يبق الا التحاسد والتنافس الذى لا يزال يكون بين المتقاربين فى القرابة وفى الصناعة وفى المجاورة ٠ على أن التوازر والتسالم فى القرابات وفى بنى الاعمام والعشائر أفشى وأعم من التخاذل والتعادى ٠٠٠ ولابد فى أضعاف ذلك من بعض التنافس والتخاذل ، الا ان ذلك قليل من كثير ٠ وليس يكون أن تصفو الدنيا وتنقى من الفساد والمكروه حتى يموت جميع الخلاف وتستوى لاهلها وتتمهد لسكانها على ما يشتهون ويهوون لان ذلك من صفة دار الجزاء وليس كذلك صفة دار العمل ٠ » (3)

فيمكننا نعت أسلوب هذه الفقرة بالمنطقى الجدلى ٠ ففيه اطناب فى التعليل وجمل على الصور التالية :

أ ـ واذا كان (٠٠٠ كذا) فـ (٠٠٠ كذا)

المسبب **السبب** (او النتيجة)

ب ـ ولابد فى (٠٠٠ كذا) من (٠٠٠ كذا)

ج) وليس يكون (٠٠ كذا) حتى يكون (٠٠كذا)

وطبقا لمبدا السببية أو مبدا العلية Principe de causalité تتركب هذه الجمل

(3) رسالة « مناقب الاتراك وعامة جند الخلافة » ط٠ فان فلوتن ـ بريل 1903 ص 21

من مسبب وسبب . والسببية هى علاقة بين شيئين متعاقبين يسمى أولهما المسبب وثانيهما السبب Succession de cause à effet فانظر فى **الجملة التالية**

« واذا كان الامر على ما وصفنا فالبنوى خراسانى »

(المسبب) (السبب)

ان مبدأ السببية الذى يستعمله أبو عثمان فى هذا النص من أهم مظاهر الاسلوب **الجدلى** · ويبدو **الجدل** أكثر وضوحا فيما يلى : « فالبنوى خراسانى واذا كان الخراسانى مولى والمولى عربيا فقد صار الخراسانى والبنوى والمولى والعربى شيئا واحدا » ·

فنحن بصدد عملية رياضية جدلية · فها هـو يقـول ان الخراسانى هـو البنوى او **(أ = ب)** والخراسانى مولى او **(أ = ج)** والمولى عربى او **(ج = د)** ، فتكون النتيجة :

أ = ب = ج = د او الخراسانى = البنوى = المولى = العربى

ويطنب **الجاحظ** عند ما يعود بنا الى نفس العمليـة الرياضية **الجدليـة فى الجملة** الاخرى الموجزة : «فالاتراك خراسانية وموالى الخلفاء قصرة» التى ينبغى **أن تفهم هكذا** « فالاتراك خراسانية وبما ان الخراسانية موال والموالى قريبو النسب **من الخلفاء** بالـولاء (قصرة بمعنى قريب النسب) والخـلفاء عـرب ، فالاجناس **الخمسة** تعود الى اصل واحد هو الاصل العربى » ·

انك تشعر بان الجاحظ يحاول ارجاع كل جنس من هذه الاجناس **الخمسة** المتطاحنة فى جند الخلافة يومئذ من جراء الشعوبية الى جنس واحد هو الجنس العربى ، وتوحيد صفوفهم لغرض سياسى لى فيه رأى ليس هذا البحث مقام توضيحه (4) ، عن طريـق الجـدل الصورى الذى يبـدو ظاهره متينـا لان التسلسل حسابى كما رأينا ولكنه فى باطنه مغالط ، وفى منطق المغالطة او السفسطة Sophisme نجد الظاهر والباطن ·

ولا يستغرب أن يلتجىء أديبنا الممتاز بفرط حيوية الى استعمال الاسلوب المنطقى الجاف والسفسطة · فهو متشبع بأساليب المعتزلة الجدلية ·

ومن الطريف أن نلاحظ ان أبا عثمان يورد فى كتاب « **فخر السودان على البيضان** » عكس العملية الجدلية التى رأيناها فيما قبل وبها يحاول السودان ارجاع الجنس العربى الى الجنس الاسود · فاقرأ قوله :

« وقال النبى صلعم بعثت الى الاحمر والاسـود وقـد علمت أنه لا يقـال

---

(4) أنظر مقالنا « مع الجـاحظ السيـاسى » فى مجلـة «الفكر» السنـة 6 ــ العدد 7 ــ افريل 1961

للزنج والحبشة والنوبة بيض ولا حمر ، وليس لهم اسمر الا السود . وقد علمنا أن الله عز وجل بعث بنبيه (الى بنى آدم) كافة والى العرب والعجم جميعا ، فاذا قال بعثت الى الاحمر والاسود ولسنا عنده حمرا ولا بيضا وقد بعث الينا فانما عنانا بقوله الاسود ولا يخرج النـاس من هـذين الاسمين فان كانت العرب من الاحمر فقد دخلت فى عداد الروم والصقالبـة وفـارس وخراسان ، وان كانت من السود فقد اشتق لها هـذا الاسم من اسمنا . وانما قيل لهم أدم وسمر وسود حين دخلوا معنا فى جملتنا كما تجعل العرب الاناث من الذكور ذكورا . واذا كـان النبى صلعم يعلم أن الزنـج والحبشة والنوبة ليسوا بحمر ولا بيض وانهم سود وقد بعثه الله تعـالى الى الاسـود والاحمر فقد جعلنا والعرب سـواء ونكون نحن السـود دونهم . فان كان اسم السود وقع علينا فنحن السودان الخلص والعرب أشبـاه الخلص فنحن المقدمون فى الدعوة » . (5)

فانظر كيف أرجع جميع الاجناس بفضل عملية من منطق المغالطة انطلق فيها من حدِ موضوع نسبه السودان الى الرسول ، واعتمد فيها كثيرا على مبدا السببية ، الى الحمر والسود فطمس بذلك الجنس العربى وادخلهـم فى عداد الروم والصقالبة وفارس وخراسان ان كانوا من الحمر وفى السود ان كانوا من السود . وأنكر أبو عثمان على لسان السودان دخول العرب فى عداد الجنس الاحمر ، فاستدرك لينفى هذا الافتراض ويثبت افتراضا ثانيا وهـو اندماج العرب فى الجنس الاسود « وانما قيل لهم أدم وسمر وسـود حيـن دخلوا معنا فى جملتنا » بل ذهب الى ابعد من ذلك حين شبه الزنج بالذكور والعرب بالاينات ، وللذكر عند العرب شأن عظيم . وغايته من هذا الجدل الوصول الى تقديم السودان على البيضان عامة وعلى العرب خاصة ، فى المناقب وكذلك فى الدعوة الاسلامية .

فهذا موقف يناقض موقفه فى رسالة « مناقب الاتراك » على انى ألاحـظ أن تناقض الجاحظ فى « كتاب فخر السـودان » ظاهرى اذ يسخر منهم أيما سخرية ويغالطهم ويغالطنا وعصره شغوف بمنطق المغالطة Sophisme (6)

رأينا فيما قبل أسلوب منطق المغالطة عند الجاحظ ، وهو اسلـوب جدلى ولا نعجب من كثرة التجاء أبى عثمان الى هذه النزعة الجدلية السفسطائيـة لانه متكلم من أصحاب الرأى وقد نشأ فى بيئة المعتزلة الذين يعتمدون كبير اعتماد على العقل لاثبات آرائهم ودحض حجج خصومهـم . زد على ذلـك أن الجاحظ تأثر بفلسفة اليونان ولـع خاصـة بمذهب السوفسطائيين الـذين نصبوا أنفسهم معلمى بيان وجدل لشباب « أثينا » ولكنهم كانوا مجادلين

---

(5) «كتاب فخر السودان على البيضان » ط. فان فلوطن ص 75

(6) انظر مجلة «الفكر» السنة 6 ـ العدد 7 ـ افريل 1961

مغالطين وكانوا متجرين بالعلم يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء • وشغف عصر الجاحظ بمنطق المغالطة أو السفسطة La Sophistiqne والسفسطة وليدة الجدل والجدل وليد النوادى الادبية • وقد انتشرت فى عصر أبى عثمان نوادى الشراب والغناء والادب والسياسة ولا ننس حلقات المسجديين وفيها يقع الاخذ والرد ويمتزج الجد بالهزل وتثار شتى المشاكل التى تشغل الافكار يومئذ • وكانت هذه النوادى حوضا منه يغترف الادب والسياسة وفيها يستغل المجادلون مواهبهم فينقلبون أحيانا سوفسطائيين أى مغالطين (سوفست فى معناه الاول معلم بيان) كما حدث فى « أثينا » فى النصف الثانى من القرن الخمس قبل الميلاد عندما قويت الديمقراطية فشاع الجدل وظهر مذهب السوفسطائيين • وفى عصر الجاحظ وجدت نفس الظروف ف « أمكن القول ، وصلح الدهر وخوى نجم التقية ، وهبت ريح العلماء ، وكسد العى والجهل وقامت سوق البيان والعلم » حسب قول ابى عثمان فى « **كتاب الحيوان** » •

ويكثر استعمال هذا النوع من المنطق والجدل فى مؤلفات أبى عثمان فنجده فى «كتاب الحيوان» كما نجده فى «كتاب التربيع والتدوير» ونجده فى « رسالة مناقب الاتراك وعامة جند الخلافة » وفى «كتاب فخر السودان على البيضان » و « كتاب العثمانية » وفى كتب أخرى كثيرة •

2) الاسلوب العلمى الجدلى :

على أن الجاحظ لم يستعمل جدله دائما للمغالطة ، فقد سخره أيضا لخدمة مذهبه الدينى ولخدمة العلم • ولنا أدلة كثيرة على ذلك فى « كتاب الحيوان » ونذكر على سبيل المثال منهجيته فى فصل « أثر البيئة » من الجزء الرابع من نفس المصدر (7) • ففيه نجد النظرية Thèse وضد النظرية Antithèse ثم عملية جمع وادماج Synthèse ، ونشعر بالجدل من أول البحث الى آخره ويكتسى أسلوب الجاحظ فى بحثه صبغة جدلية علمية وتنقلب اللهجة أحيانا دينية : « ولولا ما صح عنده من قول الانبياء واجماع المسلمين على أنه (أى المسخ أو القلب) قد كان ، وأنه كان حجة وبرهانا فى وقته ـ لكان لا ينكر مذهبهم (أى مذهب الدهرية القائلين بالتحول بأثر البيئة) فى هذا الموضع» لذلك قلنا لا نستطيع أن نفصل بين الجاحظ رجل الدين المتكلم وبين الجاحظ المفكر العالم ولعلنا لا نستطيع أيضا أن نفصل بين المفكر والاديب فى الاسلوب •

ففى فصل « أثر البيئة » يكثر من استعمال مبدا السببية وهو أساس من من أسس الاسلوب الجدلى • نجد مثلا هذا التركيب : « لولا ما صح (كذا) لكان (كذا) » كما نجد الاسلوب الاخبارى العلمى عندما يعتمد الدهرية فى

(7) «كتاب الحيوان» ج 4 ص 70 ـ 74 وانظر مجلة «الفكر» السنة 8 ـ العدد 4 ـ جانفى 1963

جدلهم على الخبر الصحيح ، فيقولون : « وقد خبرنا من لا يحصى من الناس أنهم ... (كذا) » و « لم يثبت عندنا بالخبر الذى يعارض أن ... (كذا) » كما نجد أسلوب المعاينة « وربما رأينا » و « قد رأينا العرب » و «قد نرى حرة بنى سليم » . ويستعمل الجاحظ أسلوب الافتراض والترجيح « وقد يجوز أن تكون هذه الصور ... (كذا) » .

3) الاسلوب الغنائى :

وكثيرا ما يمزج الجاحظ الاسلوب الجدلى بالاسلوب الغنائى عند ما يريد اقناع قارئه عن طريق العقل والقلب فيخاطب عقله بجدله ويحرك شعوره بغنائه . وقلنا لا نستطيع الفصل بين المفكر والاديب . ولا أدل على ذلك من الفقرة التالية المقتبسة من « رسالة مناقب الاتراك » :

« ثم زعمت (أى ذهبت الى فكرة) أن الاتراك قد شاركوا هؤلاء القوم فى هذا النسب وصاروا من العرب بهذا السبب مع الذى بانوا به من الخلال وحبوا به من شرف الخصال . على أن ولاء الاتراك للباب قريش ولمصاص عبد مناف وفى سر هاشم وهاشم موضع العذار من خد الفرس والعقد من لبة الكعاب ، وهو الجوهر المكنون والذهب المصفى وموضع المحة من البيضة والعين فى الرأس والروح من البدن ، وهم الانف المقدم والسنام الاكوم والطينة البيضاء والدرة الزهراء والروضة الخضراء والذهب الاحمر ، فقد شاركوا العرب فى أنسابهم والموالى فى أسبابهم وفضلوا بهذا الفضل الخاص الذى لا يبلغه نضل وان برع بل لا يكثره شرف وان عظم ولا مجد وان قدم . فزعمت أن أنساب الجميع متقاربة غير متباعدة . وعلى حسب ذلك تكون الموازرة والمكانفة والطاعة والمناصحة والمحبة للخلفاء والايمة . » (8)

فهنا يقيم الجاحظ الدليل فى صيغة جدلية تنقلب فى قسم كبير من النص غنائية ، على ما يستحيل تاريخيا أن يقام عليه الدليل اذ يريد أن يبين أن الولاء نسب ولحمة وأن « الاتراك عرب بالولاء بل عباسيون . وغرضه كما قلنا سياسى فهو المدافع عن سلطة بنى العباس ويريد من الاتراك أن يخلصوا لدولتهم . ويحاول اقناعهم بمخاطبة عقولهم وبتحريك قلوبهم واستمالتها .

وهذه قطعة من النثر الفنى حيث توجد عناصر متوازنة متوازية والتقفية والسجعة لكن بمقدار ، وحيث تكثر الاستعارات والمحسنات البديعية كما هو الشأن بالنسبة للشعر . ولا شك أن الجاحظ أحسن ممثل للنثر فى عصره وبفضله تطور النثر وأصبح فى القرن الرابع مع « بديع الزمان الهمذانى » قريبا جدا من الشعر بل نوعا من التفنن والترف اللفظى ، ولا

---

(8) رسالة «مناقب الاتراك» ص 7

غرابة فى ذلك • اذ يعتبر القرن الرابع قرن اكتمال الحضارة العربية أى اكتمال العمران والعلوم والآداب والفنون •

وهذه القطعة النثرية الغنائية الجدنية مظهر من مظاهر التفنن فى الكتابة تمتاز بطول النفس وقد احدثه الجاحظ بالترديد والاكثار من التراكيب المترادفات والاستطراد الى حد الغلو ، وهذا ما يسميه المستشرقون تلاعب الجاحظ Le bavardage de gàhiz والرأى عندى أن حيوية الجاحظ هى التى جعلته يميل ميلا خاصا الى هذا النوع من الاسلوب • فهو يسجع ولكن سجعه كالحان الموسيقى ، فيه الجمال وفيه الامتاع بل يوحى الطبع سجعه ويدعو اليه المقام • وقد وضع قانونا للسجع الجميل فى قوله من « **كتاب البيان والتبيين** » ويمكنك الاقتناع به : « اذا لم يطل ذلك ، ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلبة أو ملتمسة ، متكلفة » • (9)

على أن الجاحظ لم يستخدم السجع كثيرا (الطينة البيضاء ـ الدرة الزهراء ـ الروضة الخضراء •) وبالعكس فانه يكثر من التقطيعات الصوتية المنسجمة ويعمد الى أسلوب الموازنة والمزاوجة : « وهاشم موضع العذار من خد الفرس والعقد من لبة الكعاب وهو الجوهر المكنون والذهب المصفى وموضع المحة من البيضة والعين فى الرأس والروح من البدن • وهم الانف المقدم والسنام الاكوم ••• الخ » • وفى هذه القطعة استعارات تكثر فى الشعر ، فبنو هاشم هم «الجوهر المكنون» و «الذهب المصفى» وبهذه الصورة نقف على الجاحظ الاديب المتفنن فى الكتابة وتعد قطعته نموذجا من النثر الفنى فى القرن الثالث وفيها يسجد ويركع لبنى العباس فى نفس غنائى يطرب له القارىء •

ويكثر الاسلوب الغنائى فى مؤلفات أبى عثمان • فاستمع اليه يتغنى فى كتاب « البيان والتبيين »بفصاحة كلامه صلى الله عليه وسلم ويعرف البلاغة بالاعتماد عليه :

« ـ وان كلامه صلى الله عليه وسلم : هو الكلام الذى قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ••• استعمل المبسوط فى موضع البسط ، والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ورغب عن الهجين السوقى ، فلم ينط قالا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة ، وشد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق • وهذا الكلام الذى القى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ، وهو مع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته ، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال

(9) « البيان والتبيين » ط • القاهرة 1947 ج I ص 282

بالكلام القصير ، ولا يلتمس اسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ، ولا يطلب انفلج الا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المؤاربة ، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطيء ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه ــ من كلامه صلى الله عليه وسلم» (10)

فهذه قطعة غنائية ذات وحدة يتغنى فيها الجاحظ بكلامه عليه الصلاة والسلام ، ولا اريد أن أطيل الحديث عن لغة النص الخاصة بفني البلاغة والنقد فكتاب « البيان والتبيين » وكتب البلاغيين ونقاد الادب في القرون الوسطى زاخرة بمثل هذه المصطلحات ·

قلت ليس في النص أقسام واضحة بينة لانه قطعة غنائية متكونة من جمل متوازنة متساوية في عدد الكلمات ، تقرأ في نفس واحد ، ويستعمل فيها الترديد : « هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف » · فانظر الى الاكثار من الافعال الدالة على عصمة كلام الرسول « جل عن ــ نزه عن ــ رغب عن » ثم لاحظ ترديد بعض التراكيب التي تفيد عكس الاجتناب أي تفيد الاقبال على الفصيح من الكلام المعصوم كما تفيد الحصر والاقتصار على نوع خاص « ولم ينطق الا عن ··· » « ولم يتكلم الا بـ ··· » وترنم لحظة بترديده « ولا ·· ولا ·· ولا ·· » وهو اسلوب النفي يستعمل فيه افعالا بعد (لا) تدل على الزلل والعيب « زلت ــ بارت ــ يهمز ــ يلمز ــ الخ ··· »

فبفضل التقطيعات الصوتية المنسجمة والتنغيم الموسيقي العذب يصل الجاحظ في نثره الى احداث « حال شعرية » يسميها «بول فاليري» Paul Valéry في الشعر Etat Poétique (11) فيجعل نفس السامع تنشرح بها وتتفتح لقبول ما يريد أبو عثمان بثه فيها ، كتفتح الزهرة الى قطر الندى والى أشعة الشمس عند البزوغ ، فيقتنع السامع بأن كلامه عليه السلام معصوم ومثال أعلى لفصيح الكلام ويعرف معيار البلاغة ·

ويبدو الجاحظ ههنا أديبا بلاغيا ممهد علم البلاغة ·

4) الاسلوب الملحمي الغنائي :

وتنوعت أساليب الجاحظ فمنها الاسلوب الملحمي الممتاز بتعداد مناقب البطل المقدام والتغني بخصاله · فاسمع قوله في خصال الديك :

(10) « البيان والتبيين » ط· عبد السلام هارون ــ القاهرة 1948 ص 16 ــ 17

(11) انظر : Paul Valéry « Poésie et Pensée Abstraite » in Variété 1

« في الديك الشجاعة وفي الديك الصبر عند اللقاء ٠٠ وفي الديك الجولان وهو ضرب من الروغان ، وجنس من تدبير الحرب ، وفيه الثقافة (الحذق) والتسديد ، وذلك أنه يقدر ايقاع صيصيته (أي طرف منقاره) بعين الديك الآخر ويتقرب الى المذبح فلا يخطيء ٠٠٠ وله مع الطعنة سرعة الوثبة والارتفاع في الهواء ٠ وسلاحه طرير (ماض) وفي موضع عجيب ، وليس ذلك الا له ٠٠٠» (12) ولا ننس ان هذا الفخر يدخل في اطار تلك المساجلات الكلامية او الجدلية بين فريقين من المعتزلة وفريق ينتصر للكلب وفريق يشيد بذكر الديك ٠ على ان الاسلوب الملحمي ابرز ههنا ٠

ونعثر على الاسلوب الملحمي الغنائي في مواطن كثيرة من رسالة « مناقب الاتراك » ٠ فها هو يقول على لسان الخراساني :

« ونحن فتحنا البلاد وقتلنا العباد وأبدنا العدو بكل واد » (ص 8) « ونحن قوم لنا اجسام وأجرام وشعور وهام (طويلة عظيمة) ومناكب عظام وجباه عراض وقصص غلاظ وسواعد طوال » (ص 10) « ونحن اصحاب اللحى وارباب النهى واهل الحلم والحجى ٠٠٠ ولنا الطبول المهولة والبنود العظام ونحن اصحاب التجافيف والاجراس والبازفكند واللبود الطوال والاغماد المعقفة والشوارب المعقربة والقلانس الشاشية والخيول الشهرية والكافركوبات والطبرزينات في الاكف ، والخناجر في الاوساط ، وحسن الجلسة على ظهور الخيل ، ولنا الاصوات التي تسقط الحبالى » (ص 11)

وعساك تعلم أن هذه الاوصاف وسائل سيكولوجية للتهويل والترهيب في الحروب يومئذ ٠ فنحن بصدد مفاخرات بين الاجناس الخمسة المختلفة في جند الخلافة في عصر الجاحظ ٠ ويعدد الجاحظ هذه المناقب على لسانهم في نفس ملحمي غنائي يحدثه بفضل التقطيعات الصوتية المنسجمة والسجعة وترديد « ونحن ٠٠٠ ونحن ٠٠٠ » « ولنا ٠٠٠ ولنا » وذكر آلات الحرب وتعداد صفات البطولة والوسائل المهولة ٠

5) اسلوب النقد الادبي :

ويعلمنا ابو عثمان اسلوب النقد في « البيان والتبيين » وفي مقدمة « كتاب الحيوان » الطويلة ٠ فها هو يقول لمن عاب كتبه : « بهرك ما سمعت ، وملا صدرك الذي قرأت ، وأبعلك وأبطرك ، فلم تتجه للحجة وهي لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهي لك بادية ، ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب المدخل ولم تعرف المصادر اذ جهلت الموارد(13) ان أبا عثمان يسخر من المتهجم على كتبه ايما سخرية وينتقده انتقادا لاذعا باستعمال تراكيب دالة على غفلته وجهله ومنها ترديد « ولم تعرف » « فلم تتجه لـ ٠٠٠ »

(12) « كتاب الحيوان » ج 2 ص 233
(13) « كتاب الحيوان » ج 1 ص 12

« اذ جهلت » ، وكل ذلك فى أسلوب غنائى متركب من جمل متوازنة متوازية • على ان أبا عثمان فى نقده اللاذع لا يعمد الى السب والشتم ، بل ينصحنا بتجنب أسلوب السب والشتم وينصحنا باطالة الفكرة وامعان النظر قبل الحكم على نتاج كاتب او شاعر حين يقول لمن عاب كتبه فتشفى من صاحبها : « رأيت أن سب الاولياء اشفى لدائك ، وأبلغ فى شفاء سقمك ، ورأيت ان ارسال اللسان احضر لذة وابعد من النصب ، ومن اطالة الفكرة ومن الاختلاف الى أرباب هذه الصناعة » (ص 12)

وبهذه الردود ينتصب الجاحظ ناقدا فذا ويعلمنا أسلوب النقد الادبى • وعلى كل فهاهنا نغم موسيقى عذب تحدثه الجمل المتوازنة المتوازية • وهذه الظاهرة تكاد تكون عامة فى أسلوب أبى عثمان •

6) اسلوب الوصف الكاريكاتورى المضحك :

وللجاحظ أسلوب آخر امتاز به ، له صلة باسلوب منطق المغالطة لكثرة التلاعب بالالفاظ فيه وهذا اسلوب « **كتاب التربيع والتدوير** » خاصة وهو نموذج من أسلوب السخرية اى الاسلوب الهجائى اللاذع المنزه من السب والشتم لكن المشبع بالتهكم والتصوير الكاريكاتورى المضحك • وجدير بالذكر أن الجاحظ مفطور على الضحك ، يحب النكتة وينشط لها • فلقى هذا الاسلوب هوى فى نفسه •

وبفضل التصوير الكاريكاتورى ينقلب أحمد بن عبد الوهاب خطوطا هندسية واشكالا ويبرز فى شكل التربيع والتدوير • فها هو يقول :

« بل ما يهمك من أقاويلهم ويتعظمك من اختلافهم ، والراسخون فى العلم والناطقون بالفهم يعلمون أن استفاضة عرضك قد ادخلت الضيم على ارتفاع سمكك ، وأن ما ذهب منك عرضا قد استغرق ما ذهب منك طولا • ولئن اختلفوا فى طولك لقد اتفقوا فى عرضك ، واذا قد سلموا لك بالرغم سطرا ومنعوك بالظلم شطرا ، فقد حصلت ما سلموا وأنت على دعواك بما لم يسلموا ••• » (14)

فالجدل ظاهر ههنا لكنه جدل مغالط اذ يصبح أحمد بن عبد الوهاب مشكلة يخوض فيها العلماء فيختلفون فى أمور ويتفقون فى أخرى • ويصبح خاصة خطوطا وأشكالا هندسية فى قول أبى عثمان : « فانت المديد وانت البسيط وأنت الطويل وانت المتقارب ! فياشعرا جمع الاعاريض ويا شخصا جمع الاستدارة والطول ! » (ص 13)

وعلى كل فقد ابدع الجاحظ فى وصف قصر أحمد بن عبد الوهاب وعرضه

(14) « كتاب التربيع والتدوير » ط• بلات ، دمشق 1955 ص 14

بالجمع بين المتناقضات وبالتلاعب بالالفاظ وبالاعتماد على منطق المغالطة Sophisme وخاصة بتجفيف الكائن الحي وهو أحمد بن عبد الوهاب • ويحدث الضحك عندما تجفف الحياة ويجعل منها آلة • وهذا رأى الفيلسوف الفرنسي « هنرى بركسون » في كتابه « الضحك » Le Rire فان براعة المضحك حسب « بركسون » تتمثل في جعل الانسان (الكائن الحي) صورة وأشكالا تتحرك Un pantin articulé (15) ويجعلنا أبو عثمان نتصور أشكال احمد بن عبد الوهاب المتحركة المتداخلة بفضل الترديد وتعداد الاشكال «فأنت المديد وانت البسيط وأنت الطويل وأنت المتقارب •••»

7) الاسلوب القصصي :

ولم يتقيد الجاحظ الذى يأبى القيود باسلوب واحد بل تنوعت أساليبه في الكتابة • ومن بينها أسلوبه القصصي • فقد وهب الجاحظ ريشة كاتب قصصي فنان ، أجاد فن الاقصوصة في كتاب «البخلاء» وفي «كتاب الحيوان» فاقرأ قصة الخناقين وهم طائفة من غلاة الشيعة من الروافض كانوا يقتلون اعداءهم في المذهب خنقا • ثم اصبح القتل جبلة فيهم فطمع بعضهم في حمال لا يملك سوى ثويب ودريهمات : « وانظر كيف أخذوا أهل درب بأسره وذلك أن بعضهم رغب في ثويب كان على حمال ، وفيه دريهمات معه فالقى الوهق في عنقه فغشي عليه ولم يمت وتحرك بطنه فاتى المتوضأ وتحرك الحمال والساجور في عنقه فرجعت نفس الحمال • فلما لم يحس باحد عنده ، قصد نحو باب الدار ، وخرج وزياره في عنقه وتلقته جماعته ، فأخبرهم الخبر ، وتصايح الناس فأخذوا عن آخرهم » (16) •

فاسلوب الاقصوصة جميل ايحائي ، ولما تتابعت حوادثها بسرعة كبيرة عمد الجاحظ الى الاسلوب القصصي الحي • ففي هذه الاقصوصة أزمة تنفرج قليلا ثم تعود الى التأزم من جديد وتبلغ حد المأساة اذ يعلمنا الجاحظ أن الحمال وأصحابه أخذوا عن آخرهم أى قتلوا خنقا • وتتابعت حوادث الاقصوصة بسرعة كبيرة فأكثر الجاحظ من الافعال فتتابعت بسرعة كذلك • فامعن النظر في قوله : « فالقى الوهق في عنقه فغشي عليه ولم يمت ، وتحرك بطنه فاتى المتوضأ وتحرك الحمال والساجور في عنقه فرجعت نفس الحمال ••• الخ » فان أبا عثمان الكاتب القصصي يجعلنا نتلهف من أول وهلة لمعرفة النهاية فتنقطع أنفاسنا بانقطاع أنفاس الحمال وترجع برجوعها وهذا سر عبقريته •

وجدير بالملاحظة أن جمل أبي عثمان ههنا قصيرة : « فعل + فاعل +

---

(15) انظر : كتاب «الضحك» لبرغسون Henri Bergson «Le Rire», P. U. F, 1958

(16) « كتاب الحيوان » ج 2 ص 264

مفعول» أو « نعل + فاعل » او « فعل + فاعل + جملة حالية اسمية » او « فعل + حرف » • وكأنما اختار هذه الجمل القصيرة للتعبير عن تتابع الحوادث بسرعة ، ولخلق جو خاص يوافق اختناق أنفاس القارىء واختناق أنفاس الحمال الملهوف •

فهذا نموذج من اسلوب الجاحظ القصاص العبقري •

8) جملة الجاحظ الحية :

قلت فى اول هذا البحث ليس فى الامكان أن نحكم حكما عاما مطردا على جملة أبى عثمان • غير أن ابرز صفات جملته فى أساليبه المتنوعة ، تفرعها مع بساطة تركيبها • فجملة الجاحظ حية كصاحبها الممتاز بحيوية كبيرة ، تنمو وتتفرع وتذهب الى شتى النواحى كأغصان الشجرة • فانظر الى هذه الجملة :

« فحين حملوا حدهم (يعنى العرب) ووجهوا قواهم الى قول الشعر وبلاغة المنطق وتشقيق اللغة وتصاريف الكلام وقيافة البشر بعد قيافة الاثر وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآثار وتعرف الانواء والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس واحكام شأن المناقب والمثالب بلغوا فى ذلك الغاية وحازوا كل أمنية » (17)

فهذه الجملة تبتدىء بقوله : «فحين حملوا حدهم ووجهوا قواهم» وتنتهى الى قوله : « بلغوا فى ذلك الغاية وحازوا كل أمنية » • ويتخلل البداية والنهاية كلام طويل متشعب • فجملته هندسية Géométrique

وللجاحظ جملة أخرى فى نفس التركيب لكنها أطول من الاولى :

« فحين لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ولا غرس ولا بنيان ولا بثق انهار ولا جباية غلات ، ولم تكن هممهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الابطال وطلب الغنائم وتدويخ البلدان وكانت هممهم الى ذلك مصروفة وكانت لهذه المعانى والاسباب مسخرة ومقصورة عليها وموصولة بها ، أحكموا ذلك الامر بأسره وأتوا على آخره • » (18)

فهناك عنصران أساسيان ترتكز عليهما الجملة وهما البداية والنهاية يتخللهما كلام طويل متشعب يتفرع كأغصان الشجرة ، يلتوى ويعرج •

فاسلوب الجاحظ ثرى متعدد الوجوه ، يتغير بتغير الموضوع ولغته ثرية•

---

(17) « مناقت الاتراك » ص 54
(18) « مناقب الاتراك » ص 46

وهذا يعيننا على فهم نفسية الجاحظ وطبيعته اذ يوافق اسلوبه الحى وجمله الحية حيوية أبى عثمان الشهوانى الذى أحب الحياة وأفرط فى حبها فأحبها فى كأس نبيذ (انظر رسالتيه : « فى مدح النبيذ » و «الشارب والمشروب» وأحبها فى أكلة شهية (كتاب البخلاء) كما أحبها فى عذب الغناء من الوجه الشهى والبدن الشهى (رسالة القيان) ، وقد تغنى وصدح باسلوبه الغنائى فاطربنا ، وأحبها فى معسول «النوم الذى هو حياتك أو أحد أقواتك» حسب قوله (19)

ولم يبلغنا أن الجاحظ تزوج حرة · فهو القائل : « القينة تقتنى بالعين (أى بالذهب والفضة) وترد بالعيب والحرة غل من صارت اليه » · ولعل سر ذلك فرط حيوية أبى عثمان ورفضه القيود · فجملته صورة لنفسه ·

علمت ـ حفظك الله ـ أن لدراسة أسلوب الكاتب أهمية كبيرة اذ تعيننا على مزيد فهم نتاجه ومعرفة ثقافته وأحيانا نفسيته · وايقنت ـ جنبك الله الشبهة وأودع صدرك برد اليقين ـ أن أسلوب أبى عثمان الذى اخترنا الحديث عنه زاخر بالحياة يتلون بتلون المواضيع ، فهو تارة جدلى من منطق المغالطة وتارة تعليلى علمى وتارة غنائى شعرى واخرى قصصى ممتع · ومهما يكن من أمر فان لاسلوبه وجمله ميزات لا نجدها عند غيره ولا يمكن حصرها ·

واعتقادى الراسخ أن كتب الجاحظ تعلم كل شداد الذوق الادبى السليم بأساليبها ولغتها وتجعله قادرا على الكتابة الجيدة فى كل موضوع · ويبدو أن الجاحظ واع برسالته اذ نصب نفسه للنشء معلم بيان ·

أحمد خالد

---

(19) أنظر « رسالته فى مدح النبيذ » ـ مجموع رسائل الجاحظ لحسن السقدوبى · ط· القاهرة 1933 ص 290

مـأسـاة سيـزيف

النشيد الاول

شعر : نور الدين صمود

نعم لقد رأيت صباح اليوم العمال والبنائين فى هذا الوادى وادى الجنـون • وسمعتهم يقولـون : لن نرفع بعد الساعـة صخرا ••••

محمود المسعدى
(السـد)

فى ظلام الراحة الدكناء صرار يغنى •••••

فى بحور من غناء

وأنا والنملة العرجاء نجرى •••

خلف زاد الغد ، يا طول العناء

وانا احسب أن القط عنوان الحقاره

دأبه أن يأكل القوت وأن يصطاد فأره

غير أن القط يمشى فى اختيال العظماء

وينام ـ الليل ـ فى احضان غاده

تعبت فى وصفها كل اغانى الشعراء

أرهقت من حسنها كل قلوب العاشقين

انها تعشقها حتى العباده

وينام القط فى احضانها؟ •••

جاعلا من صدرها الحلو فراشا ووساده

ثم يمشى شامخا فى كبرياء

مبحرا فى وهمه :

« فى الغد الآتى سأمسى
اسدا ضخما هصورا
ومواثى سوف ينهال زئيرا ...
عند ما امسى كبيرا »
ثم يمشى مثل طاووس مدله
يتهادى مثل سلطان خرافى مؤله
فى بلاد الهند او فى نهر (دجله)
فى حكايا (الف ليله)
وأنا أبدو كنمله
سأقضى العمر أجرى ...
خلف قوت الغد يا طول الشقاء
ذهبت احلام امس
وخبت أنوار انس
وتوارت خلف بؤس

***

ايه يا قلبى الذى ضيعت عمرى ...
تائها ابحث عنكا
مثلما مات على أمجاد (اسبانيا) العظيمة
شاعر الحرية العذراء (لوركا)
ومضى فى موكب من كبرياء
ساخرا من طغمة ماجورة جد لئيمة
سوف أمضى ساخرا من صولة القط الحقير
سأدوس النملة العرجاء والصرار والطير الكسير
تعس الخبز الذى يجمعه ...
عرق النمل الصغير

تعس اللحن الذى ردده قلبى الغرير
مثلما تلقى الربيع البكر اسراب الطيور ...
طالما اغرقت قلبى ... فى بحور من غناء
مثل صرار يغنى ...
فى ليالى الصيف أو برد الشتاء
وانا كالنملة العرجاء أسعى
خلف قوت الغد مقطوع الرجاء

**

وصحوت اليوم من اعماق نومى
فوق جفنى غبار
وعلى الباب ستار
من خيوط العنكبوت
أنا خلف الباب قد كدت أموت
فى ظلام من اساطيرى ووهمى
عبر ابراج السكوت
شيدتها (عشتروت)
من ظنونى وخرافاتى وحلمى
وصحوت اليوم .. بددت الدجى .. حطمت نومى

**

وتوارت كل اسباب الشقاء
وتبسمت كما شع صباح
كعناق الامل الحلو لاحلامى الملاح
كلسان الشمع اذ يلعق جلباب الظلام
كربيع يبعث الدفء باوصال الشتاء
كغناء الطير اذ يوقظ أزهار الربيع
مثل شمس الصيف تلقى الدفء فى بحر الزروع
انا قد ادركت أن العمر .. كل العمر .. حتى منتهاه

عبث مخض سخيف
وتبينت بأن الناس ... كل الناس فى هذى الحياة
فيهم روح (سيزيف)
ان فى اعماقنا روحا مخيف
حمل العبء الذى تصطك من ذكراه أوصال الرجال
دفع الصخرة قسرا نحو هامات الجبال
كلنا فى الكون « سيزيف » الذى ...
انهكت اعباء دنيانا قواه
كلنا يدفع صخرا هائلا
كلنا يدفعه ملء رضاه
كلنا يبحث عن صخر الهناء
كلنا كالنملة العرجاء نجرى ...
خلف صخر هائل جم العناء
نغبط الصرار اذ يشدو .. ويشدو
فى بحور من غناء

نور الدين صمود

« أميـر شعـراء الخضـراء

المغفور له الشاذلي خزنه دار »

بقلم : **محمد الهادى العامري**

قد لا ينتبه شباب الجيل الى ان الشاذلي خزنة دار كان همزة وصل بين القدامى والمحدثين من شعراء الخضراء ولا يعرفون الكثير عنـه لا لانه لم يرزق الحظوة فى ادبه ، ولا لانه غير مجيد فيما حاك من القصيد لا هذا ولا ذاك وانما صاحبه الحرف الذى يصاحب النوابغ المجيدين احيانا فيطغى عليهم ويكسف اشعة بيانهم فترة من الدهر الى ان ينكشف الغطاء .

ولا تظنن ان أدبـاء الخضراء هازلون فى بيعة أمير القوافى فكلهم بايعـه لا ملقا ولا تزلفا كما سياتى البيان وانما بايعه من بايعه لشاعريته المتدفقة وخاطره الفياض . والشاعرية الهام وفيض اكثر منها تعلما وتثقيفا . بايعه ادباء الخضراء لانه نبغ فى بيئة لا تقيم وزنا للشاعر ولاتحفل بشعور . ومن سوء الحظ انه شعر فى جو موبوء ، وغرد على افنان لا يحرك حفيفها اللطيف افراد تلكم البيئة التى كانت تكفر بالادب وتزهد فى الاديب وتعده شحاذا منحطا فلم ينفق له شعر ببلاط البايات كما نفق شعر ابى فراس الحمداني فى بلاط سيف الدولة بن حمدان لان ابا فراس عاش تحت وارف ظـلال ملك عربى شجع الادباء واعلى مقامهم ، واغدق عليهم من وابل الخير والعطف ما هم جديرون به وبذلك عرفوا لقريبهم ابى فراس مكانته الادبية فأكرموه ، واكرموا فى شخصه موهبته الشعرية وعـلى العكس من ذلـك شاعـر الخضراء وامير شعرائها فقد عاش مرهقا ، مبعدا محروما من عطف البايات فكان بمعزل عنهم وهو القريب منهم وغاية ما ناله على عهـودهم (خطة وظيف ضابط شرفى) بالرغم عنه . فلم يتمالك عن الاصداع بالحقيقة فقال :

هـا اننى بالـرغم عنى قائد	**ما بينهم لكن بدون عساكر**
مـا لى بهـا الا الحسام علامة	**وتحية جبرا اجـل بالخاطر**
لو بت تسألنى على احوالها	**لشفيت قلبك بالجواب الحاضر**
قد كنت احمل ذلة لا خطـة	**حتى ترانى خاجلا من ناظرى**
تلك النجوم حقيقة فى نفسها	**كبرى وتصغر فى عيون الباصر**

ذلكم هو المنصب الخطير الذى تقلده الشاذلي خزنة دار من اصهاره البايات ومن الكذب على التاريخ والتلاعب بالحقائق ، والتحكم فى سيـر الرجـال

بدون اطلاع على آثارهم أن تكون مبايعة الاديب الفائز وغيره من رجالات الادب بتونس للشاذلي خزنة دار كأمير للشعراء منبعثة عن الزلفى او يكون الحامل عليها الملق ٠ ومتى كان الناس يتملقون ضابطا شرفيا لا يقود رعيلا ولا يسوق جيشا عرمرما ، او يتقربون لصاحب خطة هو بدوره يلعنها ويتبرأ منها ، ويحمد الله على الخروج منها ومن بيئتها الموبوءة فيقول في ألم ممض وحسرة بالغة :

لكن خرجت ولي عليهم حسرة	اذ لم يفز في القصر غير الغادر ؟٠٠٠
وساكتفي بوظيف شعري عائشا	ما بين اقلامي وبين محابري
هذي الحياة شريفة وتلذ لي	ولها خلقت وطار فيها طائري
ان شئت كان الشعر سيفا قاطعا	او كان ان احببت كنز جواهر
احمي به وطني وانصر امتي	قل هكذا والله فخر الظافر
طابت مغارس روضتي قد اينعت	افنان دوحتها لطيب عناصري
في حب تونس قد اصبت ولم يزل	قلبي غريقا في الغرام الطاهر

يقول خزنة دار هذا القول والباي آنذاك موظف فرنسي لا يحرك ساكنا الا اذا حركه اسياده ولا يعمل عملا الا اذا اوعزوا اليه ان يعمله والاستعمار راسخ القدم والبلاد التونسية تئن من ادناها الى اقصاها تحت نيره الثقيل واضطهاداته المرهقة ٠

ومن هو الذي يتجاسر على التفوه بحب تونس فضلا عن ان يعلن انه سيخدمها بادبه ويكرس لها شعره ؟ ومن هنا كان لهذا الرجل فضل السبق على ادباء عصره وفضل السبق على كل شاعر تقدمه او عاصره في اوائل الحماية الفرنسية بل هو اول شاعر تونسي نادى بترقية الشعور وارهافه وتحريكه في الجماهير لتتهيأ للاندفاع وتضطلع بمهمة المقاومة وتسهل على قائدها مهمة القيادة فيصل بها الى شاطىء الانقاذ والنجاة كما وقع ٠

وحسبك بالشعور اذا ترقى	واجرى سلسبيله في المجاري
فكم بعث الحياة الى نفوس	فارجعها وكانت في احتضار
وقلدها شريط العز فخرا	فبات الشان مرفوع المنار
وكم نفثت به الالباب سحرا	وكم اجرى ببحره من جوار
وكم رضعت لبانه من شعوب	صغار فارتقت به للكبار
وكم رفعوا به للحق صوتا	فاصبح لابسا تاج الوقار
وكم نهضت به همم وهبت	على الضعفاء أرواح انتصار
الى التاريخ في الامم اللواتي	طواها الدهر نظرة ذي اعتبار

ودونك مـن دنانـه كاس راح　　　تنوب لديك عن كاس العقـار
« ولا تشـرب بأقداح صغـار　　　فقد ضاق الزمان عن الصغار »
وشنف بالمكـارم كل سمـع　　　ورددهـا بسجعـات الكنـارى
وخصص من بنات الفكـر جوقا　　　فعشاق الروايـة فى انتظـار
وحافظ على كيانـك فى وجـود　　　ولا تنظـر لـه نظـر احتقـار
وبادر فى الريـاض لقطف زهر　　　فان العـود اصبح فى اخضرار

او ليس من الغبن الفاحش ان يقـال لشاعر الشعور انـه ملفـق او نـاظم والتلفيق والنظم لا تحلهما روح الشعور السامى المنحـدر من آفـاق سحريـة شعرية بعيدة المدى ، عميقة الغور عبر عنها أمير الشعراء بقوله :

انا مظهـر للشعر والشعر مظهـرى　　　اذا مـا تجلى فـى المشاعـر منبـرى
اجـر ورائى من قـوافيه عسكـرا　　　فمن قمـة الاجـواء او قعـر ابحـر
ومـا النصف قرن فى امتلاك زمامه　　　سوى قطعـة من فيض روحى لمعشرى
خـدمت بـه الخضراء والحق والهـدى　　　وصنتـه عمـا بالفضيلـة يـزدرى
رفعت بـه أيـام لا صـوت سوطـه　　　وشـددت بالتقريـع عن كل منكر
وافعمـت بالاحساس ابنـاء جلـدتى　　　ووقعت انغـامى بمضراب مـزهـرى

ولعل عبقرية الامير تبـدو فى نشأته فى طموحـه فهـو الاديب العصامـى والشاعر الذى لم تضمه الجامعات ولم تسبه الالقاب فاستمد بيانه مـن وحى ذكائه الوقاد وغرد فوق دوحـة الادب الفينانـة الخضراء ينفق مما اتـاه اللـه ويستغنى بوجده عمن سواه ··· فنشأ مجددا فى الروح محافظـا فى القالب والمحافظون مجددون فى معانيهم وان آثـروا التمسك بالقالب الاصيل وأبوا التنازل عن ذرى الفصاحة العربية الحصيفة ·

انصت لساجعة القريض وياله　　　صوتا شجيا من نشيد جميله
رفعت عقيرته على وتـر النهـى　　　واسترسل الحفاظ فى ترتيلـه
لو شاء ربـك للكتاب زيـادة　　　لاضاف آيـاتى الى تنزيلـــه
للنحل اوحى والقريض كشهده　　　للفحل فى الشعراء شفاء غليله
هـولى كنانـه اسهـم اعددتهـا　　　فى كل سهـم مصرع لقتيلـه
البسته حلل البيـان سوابغـا　　　ونشرت راياتـى عـلى اكليلـه
ورسمت بالاحساس مااستنتجته　　　من مذكرات لـم تحـن لمثيلـه
وتلوته بلسان صدق فى العـلا　　　مـا بين حـاذق رهطهم ونبيله

والحقيقة ان أمير شعراء الخضراء حلق فى سائر الاجواء وكان شعره شعر الفضيلة والوطنية ، والحكم ، والرصانة ، والعذوبة ، والسلاسة ، والرقة والروعة · وقد ظل كما قال خمسين عاما يزجى القوافى الى ابناء العروبة محركا هممهم مستفزا شعورهم فكان الحكيم المدره والمؤمن الصادق الذى بز المتقدمين من شيوخ الادب فى التوجيه الصالح فى الاسلوب الفاتن لا يترك اى فرصة تعنو بدون ان يندفع فيها اعتاده من التوجيه ·

وما زلت احتفظ له بغانية من شعره لم تنشر بعد قد كتبها لى بخط يده وملأها حكمة وبلاغة وما راء كمن سمع ·

خاطبنى بها رحمه الله مهنئا بولادة طفل فابتكر المعانى وتفنن فى اشادة المبانى وأبدع فى ميدان التهانى ثم تخلص كعادته الى التوجيه (ولكل امرىء من دهره ما تعودا) والحكمة طابع شعره · اصغوا اليه وهو ينفث السحر ويتلاعب باطراف البيان ويبدع فى الحكم ، ويهز النفوس هزا فى اسلوب رائع فتان وبيان سهل ممتنع قال رحمه الله ·

ولادة طفل وعام جديد   وهذا لعمرى قران سعيد
وللعامرى من الخزندارى   تهانى الودود بهذا الوليد
شقيق « عياض » محمده   وطالع يمن وعيش رغيد
و « هاديه » للخير والده   له أمل فى الصبى وطيد
اقر العيون بميلاده   فاصبح للشعر بيت القصيد
هواليوم فى الروض غصن رطيب   وفيه من الزهر ثغر نضيد
هواليوم فى الدوح خشف وديع   وفى الغد ليث هصور عتيد
هو اليوم فى البيت عصفورة   ويا لها زقزقة وغريد
وفى الغد بين جوارحه   اشد العقابين عند المصيد
اليه مع الرقيات وصاتى   خيار الذخائر بين العقود

∴

بنى ؟ بنى ؟ تأمل مليا   لتفقه بالعقل سر الوجود
وتعلم ان الحياة جهاد   وحظك فيها بقدر الجهود
تعاليم شرع وتأثير صنع   فسر سير هدى وقف بالحدود
خلقنا لنعمل فيها ونسرى   مع الكون بالروح مسرى الخلود
وفى الدهر للخلق مدرسة   وحكمة حكمها لن يحيد
وللحق اهل فكن من ذويه   ولو قارعتك العدى بالحديد
فمر الحياة مع الحق حلو   وبيض الوجوه مع البطل سود

وموقف عزك في المدلهم — حميد وبالصبر فك القيود
يسيرك عشواء في ظلمة — كتعطيله في مهاوي الجحود
واخذ الجديد بلا نظر — كصون القديم بما لا يفيد
هو الشيء في نفسه واحد — طريفه ما بيننا والتليد
عليك المعارف فاسع لها — وقل للجديدين هل من مزيد
وثب للرقي وسر افقا — ومهما ارتقيت استزد في الصعود
فعلمه اوسع من ملكه — وفي كل كشف عليه شهيد
ومعرفة الله في خلقه — تثبته رغم انف الجحود
وحسبي وحسب بني اذن — صحائف ذاك الكتاب المجيد
سيبقى مدى الدهر معجزة — تخر الجباه بها للسجود
ولا بد للدين من عودة — كما قال صاحبه سيعود
فكن لتلقيه يا ولدي — على أهبة لاقتبال السعود
وجدد عهودا لارض الجدود — وخير الشمائل حفظ العهود
تزين « منستير » مدرسة — ابوك المدير لها والعميد
تعلم مبادي العلوم بها — وعنه تثقف برأي سديد
وشرق وغرب بما احتسبت — لك النفس منه بسعي حميد
وسره فيك بنسل كريم — فلا بون بين ابنه والحفيد
ومطلع نجمك في افقه — تلقاه مني هذا النشيد
ونال ازديادك للرشد يوما — يؤرخه لي طفل رشيد

محمد الشاذلي خزنة دار

40 — 119 — 1214
سنة 1373

انا فث هذا السحر وراقم هذا البرد وحادي ركب البلاغة العربية والغريد بين عرصات البيان المتلقى وحى الشعر من آفاق لا ينضب لها معين (يقال له انه نظام بعيد عن الفن)

كلا ولكن النظرة العابرة والاطلاع الخاطف هو الذى اوحى بذلك الحكم الخاطىء والرأى القائل الصادر عن الدكتور السامرائى الذى ننصح له بمراجعة بيان شعر أمير شعراء الخضراء ليصلح خطاه فيما ادعاه من تملق الناس لهذا الوزير الخطير ؟ ٠ واقل ما يقال عن هذا الخطأ الفادح انه ينم عن سوء نية ويعرب عن نقص في الاستقراء لا يشرف صاحبه بعد العلم بان أمير الشعراء لم يتقلد وزارة ولم يسم الى امارة ولم يتملقه الناس يوما ما وسنعود الى دراسة مستفيضة لبيان أمير الشعراء فيما بعد ان شاء الله ٠

محمد الهادي العامري

احـــــلام الصيف

بقلم : جعفر ماجد

لِلّهِ عَهْدٌ لَسْتُ أنْسَاهُ   عَاشَتْ مَعِي مَا عِشْتُ ذِكْرَاهُ
عِشْرُونَ يَوْماً كُلُّهَا عُمُرِي   يَوْمٌ بِعَامٍ لَوْ حَسِبْنَاهُ
لَمْ أنسَ يَوْماً فِيهِ طَائِرَةٌ   بَاتَتْ لِقَلْبِي مِنْ مَطَايَاهُ
تَهْتَزُّ بِي فِي الجَوِّ سَابِحَةً   وَالبَحْرُ تَحْتِي أزْرَقٌ مَاهُ
وَالشَّمْسُ مِثْلُ الجَمْرِ شُعْلَتُهَا   سَالَتْ لُجَيْنًا فِي ثَنَايَاهُ
وَعَلَى امْتِدَادِ الزُّرْقَتَيْنِ دُخَانٌ مِنْ سَحَابٍ أوْ بَقَايَاهُ
كَالقُطْنِ عَبْرَ المَاءِ مُنْتَشِرٌ   أوْ رَغْوَةٍ بَيْضَاءَ تَغْشَاه
احْمَرَّتِ الآفَاقُ وَانْغَمَسَتْ   فِي عَنْدَمٍ مَا كَانَ أبْهَاهُ
وَالشَّمْسُ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ عَلَيْهَا مِنْ فُتُونِ البَدْرِ أشْبَاهُ
ألْقَتْ بِبَرْدِ المَاءِ جَمْرَتَهَا   وَلَعَلَّهَا تَسْوَدُّ لَوْلاَهُ
ثُمَّ ارْتَمَى فِي اللَّيْلِ طَائِرُنَا   كَالنَّسْرِ لاَ تُطْوَى جَنَاحَاهُ

**

كَانَتْ (فِيَانَّا) عَلَى (الدَّانُوب) سَاهِرَةً
فِي اللَّيْلِ تَسْكَرُ بِالأشْوَاقِ وَالطَّرَبِ
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ لَهَا خَيْطٌ يُزَيِّنُهَا
وَحَفْنَةٌ مِنْ نُجُومِ الدُّرِّ وَالذَّهَبِ
مِثْلَ الحُقُولِ إذَا مَا انْبَتَتْ شُهُبَا
مِلْنَا بِهَا لاِلْتِقَاطِ الحَبِّ عَنْ كَثَبِ

**

لاَ تَسْألْنِي كَيْفَ بِتْنَا فِي القِطَارْ   حِينَ ضَاقَ الجَوُّ عَنَّا وَالبِحَارْ

فِي زَوَايَا مُظْلِمَاتٍ لَمْ نَكُن   نَعْتَنِي بِاللَّيْلِ فِيهَا وَالنَّهَار
جَمَعَتْنَا نَغَمَاتٌ حُلْوَةٌ   حَوْلَ عُودٍ مَعَهُ نَايٌ وَطَار
وَصَبَايَا لَسْنَ يَمْنَعْنَ الهَوَى   كَمْ حَلاَ فِيهِنَّ لَثْمٌ وَاخْتِيَارْ
حَسْبُنَا إنْ هَتَفَ النَّاسُ لَنَا   فِي (بَرَاغٍ) وَنَأَتْ عَنَّا الدِّيَارْ
أوْ عَلَى (فَرْسُوفِيَا) جَنَّ الدُّجَى   وَجَرَى بِالحُبِّ وَالحَلْوَى الصِّغَارْ
وَرَأيْنَا أَلْفَ كَفٍّ وَيَدٍ   نَثَرَتْ مِنْ حَوْلِنَا أَلْفَ شِعَارْ
وَبِأرْضِ الرُّوسِ بِتْنَا لَيْلَةً   قَصُرَتْ مِثْلَ لَيَالِينَا القِصَارْ
حَسْبُنَا إنْ عَبَثَ اللَّحْنُ بِنَا   فَشَطَحنا وَبِنَا شِبْهُ دُوَارْ
أنْ يَكُونَ الجَوُّ مَاءً يَابِسًا   وَشُمُوسُ اللَّيْلِ أقْمَارَ النَّهَارِ

*

يَا عَازِفَ النَّايِ هَلْ جَفَّتْ أغَانِينَا
وَهَلْ نَسِيتَ بـ(فِنْلَنْدَا) لَيَالِينَا
تِلْكَ البَسَاتِينُ كَمْ ضَمَّتْ مَجَالِسَنَا
فَكَيْفَ ضِعْنَا وَضَيَّعْنَا البَسَاتِينَا
يَا لَيْتَنَا لَمْ نَمُدَّ الامْسَ أجْنِحَةً
وَلاَ نَزَلْنَا وَلاَ جِئْنَا بِمَا جِينَا

*

حَتَّامَ لَهْوُ الامْسِ يُلْهِينِي
وَالوَهْمُ خَلْفَ البَحْرِ يَرْمِينِي
يَا قَلْبُ مَاتَ الامْسُ مِنْ عُمُرِي
لاَ شَيْءَ مِنْهُ اليَوْمَ يَعْنِينِي
لاَ كَانَ عَهْدٌ سَرَّنِي زَمَنَا

إنْ ظَلَّ طُولَ الدَّهْرِ يُشْقِينِي

مَا زَالَتِ الذِّكْرَى تُعَذِّبُنِي

وَالنَّارُ تَجْرِي فِي شَرَايِينِي

أهْفُو إلَى عَيْشٍ حَيِيتُ بِهِ

رَغْمَ الذِي مَا انْفَكَّ يُفْنِينِي

كَمْ كُنْتُ أمْشِي فِي الدُّجَى ثَمِلاً

وَالطِّيبُ وَالانْفَاسُ تُغْرِينِي

الكَفُّ فِي شَعْرِي تُدَغْدِغُنِي

تَحْنُو عَلَى خَدِّي وَتُدْنِينِي

وَالشَّعْرُ فِي حِضْنِي يُعَطِّرُنِي

وَالدِّفْءُ دِفْءُ الثَّغْرِ يَرْوِينِي

وَالنَّجْمُ يَرْنُو فَوْقَ دَوْحَتِنَا

إنْ لاَحَ مِنْ حِينٍ إلَى حِينِ

وَالغَابُ تَحْتَ النَّجْمِ مُرْتَعِشٌ

كَالحَارِسِ المَذْعُورِ يَحْمِينِي

قَدْ عدْتُ يَا قَلْبِي إلَى ضَجَرِي

يَكْفِيكَ مَا عِشْنَا وَيَكْفِينِي

مَاذا سَتَجْنِي مِنْ تَوَجُّعِنَا

يَا عَهْدَ (هِلْسِنْكِي) وَ (بِرْلِينِ) ؟

جعفر ماجد

عـــــــودة ميخــــــــائيل

للقصصي المجرى Etienne Tomorkény

عندما ذاع الخبر بان كل من كان فى سن التجنيد عليه ان يتأهب للرحيل ودع ميخائيل اهله مقبلا ابنيه واحدا واحدا واودع زوجته مزرعته الصغيرة تعتنى بها مدة انقطاعه الى خدمة الوطن وليست مزرعته مزرعة واسعة فهى لا تتجاوز خمسة عشر فدانا وهى بعيدة فى ارض نائية جدا فى الرمال لكنها عظيمة فى نظره لانه لم يكن يملك سواها ٠٠٠

وهذه التوتات التى زرعت بالساحة فى عهد طفولته ٠٠٠ لن تعود اوراقها تغشى غداءه بظلها الوارف عند الزوال ولا تهمس بحفيفها لتنيمه فى العشى حين تهوى حدقة الشمس الحمراء من اعلى السماء الى ما وراء السهل غير المتناهى فتتلاشى فى لجج البحار النائية لكن ميخائيل على ذلك كله كان يتغلب على اسف الفراق المرير ويسلى زوجه جازما لها بانه سوف يعود كما كان يجد فى نفسه قوة تجعله يمرح قائلا انه سيعود حاملا وسام الابطال كما عاد أبوه فى عهد غزاة بسنية (Bosnie) غير مكذب انشودة الوداع فى قولها :

سأعود

بوسام الشرف

يا ملاكى الصغير

لا تزوج منك

٠٠٠ ويتقدم والثقة ملء نفسه يتقدم فى الهواء البارد عند ولادة الفجر لكنه ما يكاد يصل آخر منعرج طريق يمكنه منه ان يتطلع الى زوجته حتى يقف وينظر الى الوراء ويهمس فى نفسه :

ـ باركك الله يا زوجتى العزيزة ٠٠٠ باركك الله يا اسرتى العزيزة ثم يواصل سيره باعثا لآخر مرة الى منزله بزفرة طويلة مديدة

لا يبقى ميخائيل مدة طويلة مع هواجسه اذ ياتى الى الطريق الكبيرة من جميع النواحى من المسالك الصغيرة الممتدة بين الاكواخ ومن السكك الغائرة فى الاراضى الندية ياتى رجال قاصدين مثله انى يدعوهم الواجب

وسرعان مـا يتجاذبون اطراف الحديث عن العـدو الذى يجب عليهم ان يزحفوا عليه وعن المكان الذى سيكون الامر فيه جدا اعنى الحين الذى لم تعد فيه وظيفة الجندى تمرينا سلميا ... وكانوا يظنون ان اعداءهم سيكونون اما السرب (Les Serbes) واما الروس لكنهم اطمأنوا فى آخر الامر عندما مر على بالهم انهم لا محالة سيخبرونهم بالامر هنالك عند وصولهم

وعندما فرغ الجنود من ترتيب اثاثهم فى عربة القطار امكنهم ان ينقطعوا مليا الى التفكير طيلة المسافة كلها لا سيما ميخائيل فقد وجد الوقت الكافى للتأمل على غـرار نفسه فى القدر واسرار الحياة الانسانية ثم امتـد ذلك الغوص الباطنى شيئا فشيئا الى جميع طيات نفسه الخفية فبدا له انه اقترف ذنبا قبل ان يبارح المنزل اذ كان عليه ان يـودع جـاره ماتياس بـودو (Malycs Eedo) ليسود طيلـة غيابه وتحمل زوجـه وحدها رعاية الارض واستغلالها ليسود اذ ذاك بينهما السلام والوئام ولئلا تستمر اية حيلة من حيل سوء الجوار ولم يكن فى الحقيقة ماتياس جار سوء لكنه وزوجته كانا مخطئين فيما كانا عليه من شديد الضعف وقلة الصرامة ازاء ما يبديه ابناهما الشقيان من سفه ووقاحة ذانك الابنان اللذان ما كان يبلغ بهما الامر الى السرقة لكنهما كانا يتسلقان خفيـة سياج المكرمة (Vignoble) ويأخذان فى هزهزة شجيرات الكروم ليتسنى لهمـا ان يشاهدا العنب يتعفـن على التراب وكانا عنـد حراستهما الفرس يطلقان لـه العنان فيدخل زرع الغير وكانا مع ذلك يلعبان بالطين الصلب المجفف فى الشمس فيصنعان منه كرات يقذفان بها بط الغير واوزهم فيقتلانها احيانا ولقد تعهد ميخائيل بتاديبهما فى بعض الفرص على تلك الفظائع لذلك كان عليه ان يدخل قبل الرحيل على ماتياس بودو ليلتمس منه أن يعترف على الاقل بالحكم الالاهى فيمنع من ذلك الحين ابنيه الشقيين من تعاطى الاعمال الغريبة ولو مدة بقائه على الحدود فى خدمة الوطن فحسب ...

⁂

وحدث ان واصل الجنود تقدمهم بينما بقى ميخائيل مسمرا فى مكانه مكسور الركبة ولو لم يكن لحسن الحظ « ملتقطو الجرحى » لبقى هنالك يبلله دمه.

وبهذه المناسبة نشأت صلة صداقة بينه وبينهم لما احاطوه به من لطيف الاعتناء اذ اخذوه من ابطيه وحملوا ركبته المكسورة بما تستدعيه من الحيطة والحذر واركبوه سيارة المستشفى وذهبوا به الى الضابط فتمكن ميخائيل من رتق حاله على وجه ليس بالحسن ولا بالسيء لكنه لم يعد صالحا للجندية اذ اصبحت رجله المجروحة اقصر من رجله الاخرى فقال متعجبا :

ــ انا .. أنا اصبح غير صالح حقا بينما كنت اغتبط اشد الاغتباط فى حالة القتال

... عندما ارسى القطار بميخائيل فى المحطة المقصودة اخذ فى الرجوع الى المنزل واذ انه كان مقاتلا خالص الضمير صادق الانقياد بدأ بالاستئذان من الثكنة فى ان يسمح له بالعودة الى اهلـه بزيـه العسكرى ليتجاوز نظر الناس عكازتيه الى تامل لانجومه الثلاثة فحسب بل حتى وسام الحرب ولم يكن من العادة المعمول بها فى اقليمه ولو عند شيوخ ارياف بسنية ان تحمل الاوسمة على الزى المدنى

... وكانت البلاد اليوم اجمل مما كانت عليه السنة الماضية زمن الوداع ولم يشتغل الناس بالحصاد بعد فكانت اشعة الشمس تمر بلطف على السنابل المتمايلة التى كانت تموج على هبوب نسيم لطيف

وعند منعطف من منعطفات الطريق توقف ميخائيل فجأة وقد توتر جسده على عكازتيه واشرأب عنقـه كالدابة المحبوسة ثم نزع قبعته .. لقـد لمـح مزرعته فهمس ـ يا رب ايها المسيح الحنون لقد اعدتنى الى اسرتى الصغيرة اجل لكن كم ستعترضه من منغصات اذ ما كاد ينتهى الى المزرعة حتى تمكن من رؤية ابنى ماتياس بودو الشقيين وهما لا ينفكان يقذفان بطه فى الغدير وما من شك فى ان البط بطه اذ كانت تلوح على رؤوسها سمات زرقـاء فاندفع الاعرج على عكازتيه شاتما صاخبا ففـر الصبيان مذعورين لكـن ميخائيل تمكن من رجم احدهما باحدى عكازتيه وهو يصيح :

ـ يـا كلب يـا خنزير ... آه .. تسىء الى بطـى .. انتظر .. انـى لقاتلك .. انتظر قليلا انى لقاتلك بعكازتى

وكان ماتياس بودو خارجا اذ ذاك من منزله فامكنه ان يحضر فرار ابنيه السريع فتقدم ميخائيل عارجا حتى العكازة التى قذفها فاخذها ورفعها فوق رأسه مشيرا بها الى ماتياس من خلف الطريق قائلا :

ـ آه ايها الهدرة لقد كانت رجلاك تتنعمان بالدفء عندما كنت انا بعيدا هنالك وها انا اعود الى منزلى بعكازتين غير انى قتلت اربعين روسيا واسرت ثلاثـين وأظن انى مـا زلت قـادرا بعـون الله على تهشيم رؤوسكم جميعا بعكازتى ... آه ... انكم سوف تعلمون جزاء الاساءة الى بطى

فاختفى ماتياس مذعورا وكانت زوجة ميخائيل فى نفس الوقت وراء المنزل مشتغلة بتقويم الكروم اذ سمعت دوى صوت صاخب تبينت فيه صوت زوجها فاندفعت نحو الطريق تصيح بجميع ما لها من قوة

ـ زوجى هذا زوجى

وما كادت تمضى لحظة حتى كان امامها متكئا على عكازتيه فانتزعت يده من ذلك الحطب المؤلم وقبضت عليها ورفعتها الى شفتيها فقال :

ـ لم اعد قادرا على تسلق سلم الطبقة لاتيك منها بالشحم

قالت :

ـ سافعل ذلك عوضا عنك

قال :

ـ لم أعد قادرا على دفع المحراث الى الامام

قالت :

ـ سافعل ذلك عوضا عنك

قال :

ـ أأنت لا تزالين اذن ترغبين فى

قالت :

ـ انت كل شىء عندى وانت الوحيد الذى له فى نظرى قيمة

قال :

ـ طيب الحالة اذن حسنة

وجلس على جذع شجرة أتلفها العفن فحطمها ميخائيل السنة الماضية لكن فى ذلك الحين نفسه اندفعت نحوه بنته الصغيرة وهى شقراء تبلغ من العمر ثلاث سنين فدست رأسها الى النصف فى صدر أبيها واخذت تخاطبه بلهجة صبيان الريف :

ـ يا ابى الصغير قص على شيئا من اخبار الحرب قل قل

فضحك ميخائيل وهو جالس على جذع الشجرة وقال :

ـ ساقص عليك ‥ ساقص عليك واعلمى ايها الصبية ان لى منها مـا سيكون زاد فصل الشتاء كله ‥‥ لكن لنبدأ قبل كل شىء بمشاهدة المزرعة

فتقدمت زوجته وعليها علامات العذاب قائلة

ـ الا تريد ان تاكل وتشرب وتستريح قليلا قبـل ذلك ، ان لى قليلا مـن الخمر وشحما وفلفلا اخضر مشويين وخبز حنطة طريا قد انضج البارحة ‥ ما اسعدنى ‥ زوجى ‥ زوجى العزيز قد عاد الى

فقال ميخائيل فى بساطة مقاطعا :

ـ لنذهب قبل كل شىء نشاهد المزرعة

ترجمة محسن بنحميدة

تطور العقيدة عند أهل السنة

للدكتور أحمد بكير محمود

العقيدة الاسلامية كما تبدو واضحة فى القرآن الكريم غير معقدة، تتلخص فى الايمان بالله وحده لا شريك له · والايمان برسله وملائكته وقضاء الله وقدره ، ويوم البعث الذى يجازى الله فيه عباده عن اعمالهم بدون أن يظلموا شيئا ·

والرسول عليه السلام لم يأمر الناس بأكثر من ان يعتقدوا بما جاء فى القرآن · وحرمت الشريعة الاسلامية الجدل فى الدين ، والكيف ، والجهة · وأنه تعالى كما وصف نفسه ، سميع ، عليم ، بصير ، متكلم ، الى آخر الصفات الكمالية المذكورة فى القرآن ·

وبقى المسلمون يعتقدون بدون أن يجادلوا ويسلمون كما امروا· حتى جاء القرن الثانى ، قرن المدارس الكلامية والفقهية وترجمة التراث اليونانى وتأثر العلماء به فى بعض آرائهم · ثم وجود احزاب سياسية وصبغها بصغة دينية ثم الدعاء اليها ، الامر الذى دعا علماء الحديث أن يتركوا كل حديث جاءهم من صاحب هوى أو نحلة كما كانوا يسمون ·

ففى البصرة ملتقى الاجناس الشرقية الداخلة فى الاسلام ، نشأت فكرة كان لها خطرها فى تاريخ الفكر الاسلامى ، الا وهى فكرة الاعتزال ، الذى اختلف فى شرحها مسلمون ومستشرقون · لكن الظاهر والاقرب هو ما يتبادر منها للذهن أولا ، وهو : الابتعاد · اى ابتعاد أبى حذيفة واصل بن عطاء عن حلقة استاذه الحسن البصرى ، والتفاف بعض من كان على رأيه حوله · هذا هو الاقرب فى تسميتهم ولمزهم (بالمعتزلة) · الا ان هؤلاء الاول ، لم يذهبوا بعيدا فى آرائهم عن أهل السنة ، اللهم الا فى اثبات الواسطة أو المنزلة بين المنزلتين ، كما انهم لم يجدوا لارائهم انصارا ذوى خطر يذكر ، وان كان قد انضم لهم بعض الزهاد العباد كعمرو بن عبيد الذى قال فيه الخليفة أبو جعفر :

كلكم يمشى رويد   كلكم طالب صيد   غير عمرو بن عبيد

كذلك نجد اثارا لمقاومة آرائهم الاولى فى كتب الادب ، من ذلك ما روى عن هجاء بشار لواصل بعد ان كان مدحه لفصاحته وبلاغته الخطابية التى لا نظير لها ·

وقام مرتجلا تغلى بداهته   كمرجل القين لما حف باللهب

ثم هجاه ووصفه بعنق الزرافة ، والقصة فى كتب الادب فمن شاء فليطالعها ·

وبمجيء المأمون تعززت مدرسة الاعتزال بانتسابه اليها ، وقويت شوكة المعتزلة وظهر خطرهم فى المشرق والمغرب وحمل الناس لا سيما العلماء منهم على قالة المأمون وأخويه المعتصم والواثق من بعده : الا وهى القول بخلق القرآن ، وانكار الصفات والقول بالحسن والقبح المعنويين ، وخلق العباد لافعالهم ، وايجاب العدل على الله الى آخر أقوالهم ·

فكان من علماء السنة فى هذا العهد ، ان اقتصروا على الوعظ الخفى ومقاومة آراء الاعتزال التى تبنتها الدولة مقاومة سلبية ، تارة بالمناقشة وأخرى بتحمل الاذى من سجن وقتل دون أن يشهروا على الخلفاء أو الولاة الذين حملوا علماء ولاياتهم على أن يعتقدوا ما اعتقده الخليفة وباذن منهم وعلى رأس هؤلاء المقاومين السلبيين الامام أحمد بن حنبل

وجاء نصير السنة المتوكل كرد فعل لما صدر من اسلافه خلفاء الاعتزال، فكان الرد عنيفا عند أهل السنة الا انه رد لم يتجاوز الميدان العلمى المنطقى وكان أهل السنة بموقفهم هذا أنبل وأكرم من هؤلاء الذين يحملون الناس على أن يعتقدوا بالسوط والسيف وأعنى بهم المعتزلة ·

اذاك استقرت المذاهب السنية ، فكان الحنفى قد غلب على العراق يزاحمه فى البصرة المالكى والحنبلى فى بغداد · والتف حول الشافعى انصاره فى مصر وتوضحت المذاهب ، فكان لابد لهم من تقنين العقيدة التى كانت تتطور بتطور فكرة الاعتزال · فكان كلما قال المعتزلة بقول ، الا وناقضهم أهل السنة حتى اذا اكتملت مدرسة الاعتزال وقالت كل ما عندها أن تقوله اكتملت فكرة العقيدة السنية وصارت كقانون لاهل السنة يدينون الله بها·

واول عقيدة وصلتنا هى عقيدة الامام الشافعى مروية عنه بالاسناد كما رواها ابن الاهدل وهى هذه :

قال : هذه وصية الامام ابى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه · اوصى انه يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم · وان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين · وان الله يبعث من فى القبور · وان الجنة حق وان الله يجزى العباد باعمالهم · عليه أحيا وعليه أموت ، وعليه ابعث ان شاء الله · واشهد ان الايمان قول وعمل ومعرفة بالقلب يزيد وينقص ، وان القرآن كلام الله غير مخلوق · وان الله عز وجل يرى فى الاخرة ينظر اليه المؤمنون عيانا جهارا ، ويسمعون كلامه · وانه فوق عرشه ، وان القدر خيره وشره من الله عز وجل لا يكون الا ما اراده تعالى وقدره وقضاه · وان خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الامة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين · أتولاهم واستغفر لهم ولاهل الجمل وصفين والقاتلين والمقتولين ،

وجميع اصحاب النبي ء صلى الله عليه وسلم ، والسمع والطاعة لاولى الامر ما داموا يصلون • والولاة لا يخرج عليهم بالسيف ، والخلافة فى قريش • وان قليل ما اسكر فكثيره خمر •

والمتعة حرام • واوصى بتقوى الله عز وجل • ولزوم السنة والاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه • وترك البدع والاهواء واجتنابها فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون • فانهـا وصية للاولين والآخرين • وانه من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاتقوا الله ما استطعتم•وعليكم بالجمعة والجماعة ولزوم السنة والايمان والتفقه فى الدين • من حضرنى منكم فليلقننى قول لااله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليـه وسلم • وتعاهـدوا الاظـفار والشارب قبل الوفاة ان شاء الله تعالى • واذا حضرت وفاتى وكانت عندى حائض فلتقم • وتطيبوا وتدخنوا حول فراشى •

هذه عقيدة الامام الشافعى رضى الله عنه • وهى كما تبدو فيها من آرائه ومن آراء شيخه الامام مالك بن أنس • فقوله : والولاة لا يخرج عليهم بالسيف ، هو قول مالك فيما رواه عياض عن بعضهم أنه سمع مالكا والليث بن سعد يقولان : سلطان جائر سبعين سنة خير من امة سائبة ساعة من نهـار • لان ما يحصل للامة اذا كانت سائبة ساعة من نهار أكثر بكثير مما يحصل لها من خسارة فى الارواح والارزاق اذا كان لها سلطان جائر ، ولو بقى على جوره سبعين سنة • وهو رأى تبناه أصحاب العقيدة الاشعرية وصار من قوانينها • كذلك قوله : الخلافة فى قريش فهو قول أهل المدينة • وقول مالك أن ما اسكر كثيره فقليله حرام ، والمتعـة حرام عنـد مالك خلافا لابى حنيفة • وكراهية مالك لاصحاب الاهواء والبدع وهو قول الشافعى وباقى الايمة • ولكن الشافعى يخالف شيخه مالـك بن أنس فى قولـه : الايمان يزيد • وسكت عن النقص وحجة مالك فى ذلك هو قوله تعـالى : ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم • وليس هناك من نص يعبر عن النقص ، فقاس الشافعى النقص على الزيادة ، وقال بانه يزيد وينقص • والدعاء لاهل الجمل وصفين والاستغفار لهم فهو رد على الشيعة الذين يكفرونهم وكذلك الخوارج • وابو حنيفـة ومالـك يريان الاستغفـار لهم والتوقف فيمـا شجر بينهم وقـال الشافعى بقالتهم • وقوله ان القرآن كلام الله غير مخلوق هو رأى الايمـة الاربعة الذى ضرب فيه الامام أحمد بن حنبل وهو هنا رد على المعتزلة•كذلك قوله فى مسألة الرؤيا والاستواء والقضـاء والقـدر فهـو من جهـة رد على المعتزلة ومن اخرى رد على الجهمية القائلين بانه فى كل مكـان (1) ورأى الشافعى هنا ، الاقرب ان يكون لاحمد بن حنبل كما هو واضح فى رسالته فى الرد على الجهمية •

(1) انظر رسالة الامام احمد بن حنبل فى الرد على الجهمية • مخطوط ، تـــونس •

ومن أقدم العقائد السلفية ، عقيدة أبى حنيفة النعمان الذى رواها له أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الازدى الطحاوى (2) احد ايمة الحنفية وهى : هذا بيان ذكر ما يعتقده أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى وأبى يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصارى وابى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنهم اجمعين وما يعتقدون من اصول الدين ويدينون به رب العالمين ٠ نقول فى توحيد الله تعالى معتقدين بتوفيق الله : ان الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له، ولا شيء مثله ، ولا شيء يعجزه ، ولا اله غيره ٠ قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد ، ولا يكون الا ما يريد ٠ لا تبلغه الاوهام ، ولا تدركه الافهام ، ولا يشبهه الانام ٠ خالق بلا حاجة ٠ رازق بلا مؤونة ٠ مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة ٠ ما زال بصفاته أزليا ، كذلك لا يزال عليها ابديا٠ ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارى له معنى الربوبية ولا مربوب ٠ ومعنى الخالقية ولا مخلوق ٠ وكما انه احيا الموتى بعد اماتتهم ، استحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم ٠ ذلك بانه على كل شيء قدير ، وكل شيء اليه فقير وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج الى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٠ خلق الخلق بعلمه ، وقدر لهم اقدارا وضرب لهم آجالا لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شيء يجرى بقدرته ٠ ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد الا ما شاء لهم ٠ (ردا على المعتزلة) فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ٠ يهدى من يشاء ويعصم ويعافى فضلا ، ويضل من يشاء ويخذل ، ويبتلى عدلا وكلهم يتقلبون فى مشيئته وعدله ، لا راد لقضائه ، ولا مانع لعطائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لامره ٠ امنا بذلك كله وايقنا ان كلا من عنده ٠ وان محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى وانه خاتم الانبياء وامام الاتقياء ، المبعوث بالحق والهدى ، صلى الله عليه وسلم ٠٠٠ ثم يعدد قوانين العقيدة فصلا ، فصلا ٠ فيقول: ان القرآن كلام الله غير مخلوق ، وان من قال عكس ذلك فقد شبه كلام الخالق بكلام المخلوق ٠ ومن قال انه كلام البشر ٠ فقد كفر ٠ وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده عذابه حيث قال : سأصليه سقر ٠ ثم ان الرؤية لاهل الجنة حق (ردا على المعتزلة فى نفيهم الرؤية) ٠ والمعراج حق ، وقد اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه فى اليقظة الى السماء ثم الى حيث ما شاء الله من العلى ٠

وان الحوض حق الذى أكرمه الله به غياثا لامته ٠

والشفاعة التى ادخرها لهم حق ٠والميثاق الذى أخذه الله تعالى

---

(2) توفى سنة 321 هـ 933 م ــ ترجمته فى الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ج 1 ص 102 ــ والوفيات ج 1 ص 19

من آدم عليه السلام وذريته حق • وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة والنار جملة واحدة ، فلا يزاد فى ذلك العدد و لاينقص منه شىء • وكذلك افعالهم فيما علم منهم أن أن يفعلوا ، وكل ميسر لما خلق له ، وصائر لما خلق له • والاعمال بالخواتم • والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى ، والشقى من شقى بقضاء الله تعالى • وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ، ولا نبىء مرسل ، والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ودرجة الطغيان ، فانحدر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة • (وهذا أيضا من أعنف الردود على المعتزلة فى قولهم بأعمال العقل فى العقيدة وتحسين ما حسنه العقل وتقبيح ما قبحه) ويستمر الطحاوى فى الرد عليهم قائلا أن من استعمل العقل فقد رد حكم الكتاب • (وهو رأى ابن المقفع فى التشريع (3) أن من شرع بعقله فلا دين له •) وأن الايمان يثبت بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود• أى اعمال العقل طلب لعلم مفقود ، لا يصل اليه الانسان مهما اجهد نفسه ويقول الطحاوى عن طالب هذا العلم المفقود بانه كافر •

فصل اللوح والقلم : يقول فيه الطحاوى (ملخصا) نؤمن بجميع ما فى اللوح قد رقم ، وأن لو اجتمع الخلق على أن يجعلوا شيئا غير كائن وهو كائن فى اللوح لم يقدروا عليه •

والعرش ، حق **والكرسى** حق كما بينه سبحانه وتعالى فى كتابه ، وهو جل تعالى مستغن عن العرش فما دونه ، وقد اعجز عن الاحاطة خلقه •

الايمان بالانبياء والملائكة والكتب ـ نقول : ان الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما ، ايمانا وتصديقا وتسليما • ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد انهم كانوا على الحق المبين •ونسمى أهل قبلتنا مسلمين ، ما داموا بما جاء به النبىء معترفين• ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب لم يستحله ، ولا نقول لا يضر مع الايمان ذنب (رد على المرجئة والجهمية) ونستغفر للمسيئين من المسلمين ولا يخرج العبد من الايمان الا بجحود ما أدخله فيه • وأهل الكبائر لا يخلدون فى النار اذا ماتوا وهم موحدون •

ونرى الصلاة خلق كل بر وفاجر من أهل القبلة (4) • ونصلى على من مات منهم • ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا • ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ، ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شىء من ذلك •

ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الا على من وجب عليه السيف ، ولا الخروج على أيمتنا (وهو رأى مالك كما تقدم)

(3) انظر رسائل البلغاء ـ ط ـ كرد على ص 129 وما بعدها •
(4) اقتداء بعبد الله بن عمر الذى صلى وراء الحجاج •

وندعو لهم بالصلاح والمعافاة • ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة ••• ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أولا لابى بكر رضى الله عنه ، تفضيلا له وتكريما وتقديما على جميع الامة ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم لعثمان (ردا على الزيدية والامامية فى الاولين وعلى الخوارج فى الاخرين) ثم لعلى رضى الله عنهما • والعقيدة طويلة ، هذا أهم ما فيها ملخصا • ومن هنا يتضح أن تقنين العقيدة كان قد سبق أبا الحسن الاشعرى رافع لواء مدرسة النقض على المعتزلة •

وهنا يخطر ببالنا سؤال • وهو : لماذا لم يتخذ أهل السنة هذه الآراء للرد على المعتزلة • لا سيما أن الرد على عقيدتهم كان معروفا ، فقد رد مالك على مسأله الجهة وابن حنبل على خلق القرآن والجهة كذلك ، والشافعى على البعض من آرائهم وانتظر أهل السنة قرنا آخر ليتفقوا على عقيدة أبى الحسن الاشعرى وليتخذوها قانونا يردون بها على المعتزلة ويدينون الله بها ؟

الظاهر كما مر فى عقيدةأبى حنيفةوالشافعىأنهما لميتناولا كلفروععقيدة الاعتزال بالنقض والتفصيل ، وان كان أحمد بن حنبل فى رده على الجهمية قد تطرق الى اراء لهم كثيرة ولم يتوسع • كما انه لم يخصص لهم ردا • ولا نعرف أكانت رسالته هذه قبل محنته أم بعدها • وعلى كل فيبدو أن أهل السنة لم يشهروا حربهم على المعتزلة كما شهرها أبو الحسن الاشعرى واجتنابهم هذا لخصومهم لعله عن دافع دينى وهو تحريم الجدل فى الدين ، الذى قال به مالك بن أنس ، ويراه أحمد بن حنبل • وكان هذا الرأى قد انتشر فى أوساط السنة • فتجنب الامام أحمد لهم اما أن يكون بهذه الفكرة الدينية : لا جدال فى دين الله • وهو الاقرب • واما ان يكون عن اجتناب فتح أزمة مع الخلفاء الذين تولوا الدفاع عن مدرستهم •

اذا نظرنا الى هذا العصر وجدنا أن المدارس الفقهية قد تكونت والتف حولها أنصارها ، بل ربما كان بعض معتنقى هذه المدارس يتعصب لآراء امامه ولا يريد بها بديلا • فاذا جاء حنفى بعقيدة ما ، لم يتبعه عليها المالكى ولا الشافعى أو قل حتى الحنبلى ، والعكس يصح • فانتظر جميعهم مجىء هذا المنحدر من الصحابى الجليل أبى موسى الاشعرى ، الذى ساعد نسبه على أن يجعل أهل عصره ينظرون اليه نظرة اكبار ورضى • كما أنه خريج مدرسة الاعتزال البصرية ، ولربما كان من أكابر تلاميذها ورجوعه عنها باجتهاد منه وتجرده على نقدها والرد عليها وهو الاعرف بها من سواه • زد على ذلك انه لم يترك كبيرة ولا صغيرة من آراء مذهبه القديم الا فنده او نقده ••• متخذا فى ذلك آراء وسطا كانت فيما يعتقد أهل القبلة من سنيين ومعتزلة ، الامر الذى أبكت خصومه من معتزلة وجهمية وحشوية مجسمة ولم نجد لهم ردا على آرائه فيما نعلم • اقتنع أصحاب العقائد السلفية من مالكية وحنفية وشافعية وبعض فضلاء الحنابلة على حد تعبير

الاشاعرة ، قاصدين بذلك ابن فورك (5) . قلنا اعتنقوا العقيدة التى يعتبر أبو الحسن أول من وضعها كاملة بعد أن بلغ المذهب المعتزلى أشده وصار واضحا . كما أتم تلاميذه الذين جاؤوا بعده مثل أبو بكر البقلانى وابن فورك والقاضى عبد الوهاب والحاكم النيسابورى والقابسى وابن ابى زيد ، ما حدث بعد وفاته من مشكل الاعجاز الذى أثاره الجاحظ وأبو الحسن الرمانى (مات سنة 386 هـ 996 م) . وعملوا على نشر وتطوير العقيدة فى المشرق والمغرب والدفاع عنها وعن آراء الباقلانى فى مشكل الاعجاز ...

هناك عامل مهم آخر فى اعتناق أغلبية أهل السنة للعقيدة الاشعرية هو انهم وجدوا فيها آراء أيمة السلف متفقة مع الكتاب والسنة . وقد أرادوا أن يتفقوا هذه المرة بعد أن أعياهم التعصب المذهبى وأضر بهم .

فكانت العقيدة الاشعرية ملتقى أكثر السنيين من نيسابور الى افريقيا..

يعتقد استاذنا العلامة (BRUNSHVIG) ان اصول الفقه كان عاملا مهما فى حسم الخلاف المذهبى بين أهل السنة . وأعتقد أن العقيدة الاشعرية كانت قد سبقت الى هذا الميدان ، رغم أن اتفاقهم على أصول الفقه أكبر وان لم يكن لاختلافهم فى العقيدة بين حنفية وكثير من الحنابلة أثر يذكر . فحتى هؤلاء الذين لم يتفقوا مع أهل السنة فى أشعريتهم لم يخالفوهم الا كما يخالف الايمة الاربعة بعضهم بعضا فى مسح الرأس مثلا .

وتطورت فكرة العقيدة لا سيما عند الصوفية الذين دافعوا عن عقيدة الاشاعرة ووضعوا اما شروحا لها . او تعاليق او تصدوا للدفاع عنها . فمن هؤلاء الصوفى المغربى أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى (6) الذى كان يعلم العقيدة لتلاميذه وقد حفظ لنا ابن الاهدل امتحانه لاحد تلاميذه حيث قال له : لو قال لك أحد أين معبودك ايش تقول ؟

فاجاب التلميذ : أقول : حيث هو الآن . يعنى أنه كان ولا مكان ، فهو الآن ، كما كان ، على ما كان فى الازل . وسئل أبو عثمان هذا عن الخلق . فقال : قوالب وأشباح تجرى عليهم أحكام القدرة . وهى عقيدة الاشاعرة كما جاء فى القرآن الكريم (كل من عند الله .) والله خلقكم وما تعملون .

---

(5) محمد بن الحسن أبو بكر بن فورك . كان معاصرا لابى بكر الباقلانى مات سنة 406 هـ 1015 انظر عنه شذرات الذهب ج 3 ـ ص 181 . والاستاذ (LAOUST) فى دراسته .

Le Hambalisme sous le Califat de Bagdad. p. 88. Extrait de la R. E. I. PARIS - GEUTHNER. 1959.

(6) مات سنة 373 انظر عنه طبقات الصوفية للسلمى ص 435 وكشف الغطاء (مخطوط) .

(قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ٠) وعند الاشاعرة التسليم بقضاء الله وقدره ٠

وسئل الجنيد قدس الله سره عن التوحيد ، فقال : افراط الموحد بتحقيق وحدانيته وبكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد ٠ وقد لخص عقيدة الصوفية الامام القشيرى صاحب الرسالة بقوله : اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة يعنى الصوفية بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ، عرفوا ما هو حق القدم ، وتحققوا ما هو نعت الموجود عن العدم ولذلك قال سيد هذه الطائفة الجنيد رحمه الله : التوحيد افراد القدم عن الحدث (7) ٠٠٠ وعند اصحاب الشاذلى لا سيما رأس الشاذلية المفكر عز الدين بن عبد السلام (8) الذى وضع عقيدتهم وهى اشعرية صرفة وهذا ملخصها : الحمد لله ذى العزة والجلال والقدرة والكمال والانعام والافضال ٠ الواحد الاحد الفرد الصمد ٠ الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ٠ ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر ٠ ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء ٠ ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارض ولاالسموات كان قبل أن كون المكان ودبر الزمان ، وهو الآن على ما عليه كان ٠ خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم ، وكل نعمة فهى منه فضل ٠ وكل نقمة فهى منه عدل ٠ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ٠ استوى على العرش المجيد على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده استواءا منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ٠ فتعالى الله الملك الكبير المتعال عما يقوله أهل الغى والضلال ٠ لا يحمله العرش ، بل العرش وجملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون فى قبضته ٠ أحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا ٠ مطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر ٠ حى مريد ، سميع بصير ، عليم قدير ٠ متكلم بكلام أزلى قديم ، ليس بحروف ولا صوت ولا يتصور فى كلامه أن ينقلب مدادا فى الالواح والاوراق شكلا ترمقه العيون والاحداق ٠٠٠ الخ وهى العقيدة الاشعرية بعينها ، لكنها محررة حسب اسلوب صاحبها ٠ ومتأخرو الصوفية فى أشعريتهم يقلدون اسلافهم مشائخ الصوفية كالجنيد والقشيرى والغزالى كما هو واضح فى عقيدة هذا الاخير المذكورة فى اول كتابه (الاحياء) ٠ ولذا كان الرد عنيفا على المتصوفة الخارجين عن المحيط الاشعرى والسلفى كالحلاج وابن عربى فى الاواخر ٠ وبقيت هذه العقائد الى اليوم الا انها تختلف فى انتشارها حسب المذاهب

---

(7) الرسالة القشيرية ٠

(8) ترجمته فى السلوك ، ص ، 103 ـ 2 ، 412 ، 17 ٠ وطبقات الشافعية الجزء 5 ، 80 ـ 9

والبلدان ، فعند المالكية والشافعية عقيدة الاشعرى هى المعتمدة ٠ وقد حررها كل حسب اسلوبه كما هى فى المنقذ من الضلال ، والاحياء وعقيدة ابن ابى زيد القيروانى والابانة والرسالة القشيرية ٠

والحنفية كلهم ماتريدية (9) ، وتستمد الماتريدية أصولها من اراء أبى حنيفة وأصحابه زفر بن الهذيل ، محمد بن الحسن الشيبانى وابى يوسف الانصارى ٠

وهى تختلف اختلافا جزئيا فى فروع كلامية ، كما اظهرها تاج الدين السبكى فى نونيته ٠

ياصاح ان عقيدة النعمان   والاشعرى حقيقة الايقان(10)

وجاء الحسن بن عبد المحسن المعروف بابى عذبة من اواسط قرننا الثانى عشر وجعل مقارنة بين أقوال الاشعرى والماتريدى أى عقيدة الحنفية ببلاد الهند والقوقاز والمشرق والمغرب ٠ فاتضح من مقارنته أن ليس هناك خلاف جوهرى وأهم هذه الاختلافات ، هى : فى مسألة المشيئة فى الايمان ؛ اذا قال قائل أنا مؤمن ان شاء الله ٠ لا يجوز الاستثناء عند الحنفية محتجين أن الاستثناء يدل على الشك ٠ ولا يجوز الشك فى الايمان بل فى العقود ٠

وفى مسألة : السعيد هل يشقى والشقى هل يسعد ؟ قال الاشعرى : ان السعادة والشقاوة مكتوبتان على الانسان ، لا تتبدلان ٠ فالسعيد لا يصير شقيا والشقى لا يصير سعيدا ٠ وانما يعمل الشقى بعمل أهل الجنة فيسبق عليه الكتاب فيدخل الجنة ويعمل السعيد بعمل أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيشقى ويدخل النار ٠

وقال الماتريدى وهو رأى أبى حنيفة قد يصير الشقى سعيدا والسعيد شقيا ويختلفان كذلك فى مسألة نعمة الكافر ـ هل انعم الله عليه أم لا ؟ يقول الاشعرى لم ينعم عليه لان هذه النعمة هى زيادة فى شقائه فى الاخرى لقوله تعالى : سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ـ متاع قليل ولهم عذاب مهين ٠ والماتريدية يقولون أنعم عليه نعمة دنيوية ٠ وكذلك يختلفان فى الارادة والرضى ـ فالاشعرى يعتبر الارادة والرضى أمرين مختلفين ٠ وعند الماتريدية هما متحدان ٠

---

(9) نسبة الى ابى منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى المتكلم ٠ توفى سنة 333 هـ 944 م ترجمته فى مفتاح السعادة ـ 2 ـ 21 والجواهر المضية ـ 2 ـ 112 ـ .G. A. L. 1,209 – S.1,346

(10) انظرها فى الجزء الاول من الاحياء ٠

الخامسة ـ ايمان المقلد · هل يصح أم لا ؟ عند الماتريدية وهو رأى ابى حنيفة يصح · وعند الاشاعرة لا يصح ولكل حجته ·

مسالة الكسب ـ (وهى دقيقة)

عند الاشاعرة ان الانسان اذا صمم عزمه فالله تعالى يخلق الفعل عنده ، والعزم أيضا فعل يكون واقعا بارادة الله · فلا يكون للعبد دخل فيه على سبيل التأثير ، وان كان له دخل على سبيل الكسب · فعند الاشاعرة الكسب تعلق القدرة الحادثة بالمقدور فى محلها من غير تأثير · وعند الماتريدية · هو صرف القدرة الى أحد المقدورين وهو غير مخلوق · لان جميع ما يتوقف عليه فعل الجوارح من الحركات وكذلك الترك التى هى افعـال النفس من الميل والترك والاختيار بخلق الله تعالى ، لا تأثير لقدرة العبد فيه وانما محل قدرته عزمـه عقيب خلق الله هذه الامور فى باطنه ·

مسالة اخرى : أيعذب المطيع أم لا ؟ اتفقا على عدم جوازه شرعا واختلفا عقـــلا ·

وهناك اختلافات فى صفات الافعال لله تعالى · أقديمة هى أم حادثـة ؟ كخلق العباد واماتتهم · وكلام الله هل يجوز ان يسمع أم لا ؟

هذه أهم نقط الخلاف بين الاشاعرة والماتريدية ، وهى تحتاج الى درس عميق وتعليقات طويلة ربما رجعنا اليها فى وقت آخر ·

أما عن عقيدة الحنابلة فليس لدينا سـوى عقيدة ابن بطـة العكبرى التى كانت موضوع عدراسة استاذنـا (LAOUST) ولا شـك ان للحنابلـة ما لغيرهم من أهل السنة فى هذا الميدان من تآليف عدة ·

احمد بكير محمود

ايضاح : فى مقالنا عن ماسينيون فى عـدد الفكـر المـاضى لم نعـن بما كتبناه عنه الا امثاله من المستشرقين الذين زجوا بانفسهم فى ميدان السياسة

أما الذين حافظوا وأوقفوا أنفسهم على ميدان المعرفـة الانسانيـة ، فلهم عندنا كل ما يجبون من احترام وتبجيل ، ولنا فى هؤلاء أصدقاء وأســاتذة جلة يعز علينا أن يذكروا بما لا يليق ·

الحقيقة

شعر : ملك عبد العزيز

(1)

الليل فوق الافق مشدود الجناحْ
جناح خفاش كئيب جلل البطاح
عيناه لا ترى الضياء، تبغض الصباح
أصم لا يعي الآلام والافراح والنواح

ومارد كالموت يسعى في الرحابْ
يسوق قطعان السحاب السود ما بين الشعاب
يشدها والليل بالاوتاد في الارض النئومْ
يرقع النجوم بالغيوم
ويبسط السكوت والظلام والخراب

الشمس لاترى الارض الخبيئة النئوم
لافرجة بين الغيوم السود ما بين التخوم
يطل منها بارق يحيي الرميم
وفي وكورها الاطيار ترقب السَحَرْ
تحجرت تحجرت مقرورة على الغصون
وأذرع الشجر
تغضنت تيبست وغالها الهرم
وصوحت أوراقها كحفنة الهشيم

* * *

المرج في السهول عشبه الندي ماتْ
حتى شحوبه المريض لم تلحظه عينْ

فالليل أطفأ الشموع أطفأ العيون
لم يبق إلا الصمت والاسى والاين
والمارد الكئيب أطفأ النجوم.

الارض أنَّت... غالها الضجرْ !
والبرد في أوصالها استسر واستقر
تململت ... تروم لمحة الضياءْ

يصب دفء الشمس... يسكب الرجاء
لكن غول الليل فوق صدرها جثم
أوتاده في قلبها تسمرت بالدم
جناحه المثلوج حط فوق وجهها الضحوك
وجسد الحياة في إهابها النَّضِيرْ

ومر يوم... مر يوم... مر ثم غابْ
من يعرف الايام ؟... من يدري الحساب ؟!
والوقت ليل واحد مسلسل طويل
لئن عرفنا البدءَ... من لنا بآخر السبيل !

* * *

تجمدت تجمدت في بردها البطاحْ
والموت فوق صدرها لنومه استراح
والثلج أسودا على أديمها زحف
كموكب الضلال للجحور تختلف
أصم لا يعكس ظلا للحياة أو طرف
من دوحة أو زهرة ضجت بها الحياة

الصمت كفن الوجود، كأن القبر الفسيحْ
أناخ في التلال والوهاد والسفوح

وحط في الوديان في الاكواخ في الصروح
وبالكآبة الخرساء التف والتحف

ومريوم، مريوم، مرثم غاب
من يعرف الايام... من يدري الحساب !
والوقت ليل واحد مسلسل طويل
لئن عرفنا البدء... من لنا بآخر السبيل !

(2)

لكنّ في جوف الثرى لم يزلْ
جمر ونار من قديم الازل
من يوم كانت أرضنا في الفضاء
شظيّة فوّارة من لهب
تفطرت في غابرات الحقب
عن أمها الشمس بقلب السديم

النار تحت السطح لا تأتلي
تفور بركانا عتيّ الغضب
تبحث عن شق به تقترب
من ذلك السطح البرود النئومْ

واقتربت من سطحها الهامدِ
فزلزل الثلج وشج السكونْ
تخلخلت أكداسه الراكدة
وارتجّ منها كالرعود اللحون

وانفجر البركان يلقي الحمم :
سيوله الحمراء ذات الرّهَجْ

وأذرع النيران ذات الوهج
تدافعت للأفق تشوي الظلم
فروع الخفاش خدن الظلامْ

(3)

ومر يوم... مر يوم... مر ثم غابْ
وذاب في وهج الضياء السحاب
والشمس في المشرق مجلوة
والارض نشوى من عبير الضياءْ
والعشب نديان بحضن المروج
والافْق سكران بنفح الاريج
والدوح مخضر الذرا ضاحك
ترقرقت في جانبيه الحياة
قد نوّر الزهر بأعطافه
وضوّأت في شاطئيه المياه
والطير يشدو في ذراه اللدان
ألحانه مخضلّة بالفرح
يرتعش النور بأنغامها
والحب والنجوى ودفق المرح

* * *

وجاء طفل من وراء التلالْ
من منبت الشمس ونبع السنا
عار، كضوء الفجر، غصن الجمال
مجنّح الخطو نديّ
الورد في أعطافه ذائب
والشهد في عينيه صافي الندى

يطفر فوق العشب في نشوةٍ
وينشر الفرحة أنَّى سرى
طراوة العشب بأقدامه
نشوانة باللثمة العارية
طازجة الخضرة نديانة
مبتلة بالنضرة الحالمة

وفي ظلال الدوح لاحت لهُ
بحيرة رقراقة صافية
الظل في أطرافها ناعس
والنور في أكنافها لاعبُ.
وزهرة بيضاء وسط المياه
ريانة مجلوة ظافرة
كمثل من قالوا بأن الحياة
تخلقتْ من طهرها الناصعْ(1)
العطر من أكنافها نافح
والنور من أردانها ساطع
فجاء طفلي طافرا ضاحكا
وقال : "ما أحلاك يا باهرة !

"حبيبتي، بوحي وقولي لنا
ما اسمك يا حسنائي الظافرة"
تبسمت غراء في طهرها

(1) أسطورة فرعونية أنه في كل صباح تنبت وسط الماء زهرة لوتس تشتمل على طفل صغير هو اله الشمس – مصدر الحياة – جالسا في نورها.

جليلة كالشمس وسْط السماءْ
قالت : "أما تدري صغيري الحبيب
أني بنت الشمس بنت الضياء
تلك التي مهما أقاموا السدود
ليحجبوا أنوارها الباهرة
أو زيفوا الاستار سحبا غلاظْ
ليحبسوا أنفاسها العاطره
تسلل العطر وفاح العبير
ومزق النور إسار الستور"
قال الصغير : "يا زهيرتي الوريقة
افرحي .... لقد عرفت الحقيقة !"

ملك عبد العزيز
القاهرة



خطرات سائر في بلاد « ألمانيا الغربية »

بقلم : محمود تيمور

هذه ملاحظات خطرت لى فى رحلتى الاخيرة بالمانيا الغربية، كتبتها فى صورة أجوبة عن اسئلة صحفية . وارجو ان يكون لها نصيب من صفحات الفكر .

محمود تيمور

لابد انك قمت بجولة فى مدن « المانيا الغربية » فهل لفت نظرك شىء فى هذه الجولات تريد ان تتحدث فيه ؟

⁂

أول ما لفت نظرى من ظواهر التخطيط فى المدن الالمانيـة ، هو مـا يسمى « الاوتوستراد » وذلك ما اصطلحنا على تسميته فى لغتنا الفصحى بالطريق السريع ، أو طريق السيارات .

حيثما سرت بين بلد وبلد ، راعتك الطرق المعبدة الفساح التى تمرح فيها السيارات مرحا ، او تنتهبها انتهابا ، كما نقول على سبيل المجاز !

ولن تجد على قارعة هذه الطرق ماشيا على رجليه ، فللمشاة معابر خاصة يجتازونها اذا ارادوا الانتقال من طوار الى طوار ، وكأن هذه المعابر جسـور معلقـــة .

وتقسيم هذه الطرق بين اتجـاهات السير المختلفة ، خاضـع لهندسـة دقيقة ، تعطى للمواصلات طلاقة فى السير ، وأمنا من الاصطدام .

ولهذا تكاد تنقطع المغازلات المشؤومة بين السيارات وخلق الله من المشاة .

وأنت اذا وقفت على رأس طريق من تلـك الطرق ، وعلى عينيـك منظـار مكبر ، أتيح لك أن تشهد معرضا رائعا لوسائل المواصلات الرائحة الغادية، فى نسق بديع ، وسرعة خاطفة ، وكأنما أنت أمام ميدان سباق للمواصلات، والناس على جانبيه نظارة يشهدون !

وقد رأيت مثل هذه الطرق من قبل فى « الولايات المتحدة » أثناء زيارتى لها ، مرة قبل خمسة عشرة عاما ، ومرة أخرى قبل عشرة أعوام ...

بيد أن الطرق الامريكية أوسع مدى ، وأوفر ضخامة ، وأكثر تفننا ...

وفى « أمريكا » قد ترى من هذه الطرق ما هو متراكب ، يعلو بعضه بعضا ، متخذا دعائمه وأسواره من الحديد الذى يبدو أنه فى تلك البلاد متوافر توافر الماء والهواء !

ماذا كان احساسك حين دخلت « المانيا الغربية » ؟

***

ـ لقد كنت قبل رحيلى الى « المانيا الغربية » أتابع فى الصحف أنباء البلاد الالمانية عامة ، وما جرت عليها الحروب من ويلات ، وطالما سمعت باسماء رقاع منها أعملت فيها الحرب الضروس يد الخراب والدمار ، ومن هذه الرقاع مدائن محيت محوا ، ومنها ما أصبح معظمه أنقاضا .

ولما اتفق لى أن أزور هذه المدائن ، عجبت أشد العجب لتلك الانتفاضة التى انتفضتها فى قليل من الزمن .

لقد رأيت ما حسبناه خرائب ، قد استعاد جدته ونضرته ، وكأنه مدن جدد قد انشقت عنها الارض ، فاشرأبت الى السماء ، بسحر ساحر !

وانه لما يبعث على الدهشة ، ويأخذ بالألباب ، ما طبع عليه الشعب الالمانى من حيوية خارقة ، وهمة جبارة ، اذ استطاع ـ فى سنوات معدودات ـ أن يقلب الوضع من هزيمة الى انتصار ، فلقد انتصر على نفسه ، بل لقد انتصر على هازميه ، حتى لقد اصبح له الباع الاطول فى الصناعة والتجارة وفى مختلف ميادين المال والاعمال .

والمستوى الاقتصادى الذى يعيش فيه الرجل الالمانى من عامة الشعب ، مستوى ينم عن رخاء واطمئنان .

وفيما سمعته هناك أن البلاد فى حاجة الى أيد عاملة ، وقد استنفدت الاعمال أيدى أهليها ، والترحيب مكفول لمن يأنس فى يده الكفاية للعمل ، والرزق وافر لمن يفدون على البلاد من الاجانب الذين يعملون !

وفى اثناء مقامى هنالك ، لقيت بعض الطلاب المصريين الذين يقضون اجازتهم الصيفية ، وعلمت منهم أنهم يزاولون بعض الاعمال ، لقاء كسب طيب ، ييسر لهم الاستمتاع فى اجازاتهم بعيش رخى كريم ...

أنت من رواد الاصطياف ، وقد طوفت فى مصايف شتى من بلاد العالم على مر السنين ، فما رأيك فى البلاد الالمانية ، باعتبارها مصطافا زرته أخيرا ؟

***

ـ لما نزلت بالمانيا الغربية ، قيل لى اننا سنصطاف فى « الغابة

السوداء » ، ومن يسمع ذلك الاسم لا يستبشر بما سوف يستقبل من مناظر ومرئيات • فاول ما يخطر بالبال هو الجهامة والكآبة والعبوس • ولكن الحق أن « الغابة السوداء » مظلومة اذ توصف بالظلام ! ••• وحرى بها ان تسمى غابة النور ، او غابة الاشراق •

هى جانب من الارض ، فى ارجائه تتلاقى المصائف الالمانية ، أو اعلاها صيتا •

وانت من « الغابة السوداء » فى رحاب شاسعة ، تشمخ فيها بواسق الاشجار ، وتتشابك ، الى مدى بعيد • وان من ينشد الاصطياف لواجد فيها مفاتن الطبيعة ، من جو طيب فيه للجسم شفاء الى جبال زاهرة ، وانهار جارية وبحيرات رشيقة ، حولها تتالق قرى الاصطياف ،آخذة من أسباب الحضارة اوفى نصيب ، حافلة بالوان المباهج ووسائل الترفيه ، فوق ما اختصت به من مزايا العلاج والاستجمام •

والطريف من أمر تلك القرى ان فيها متسعا لجيوب الجميع •

الميسورون يجدون فيها ما يرضى عندهم لذة الرفاهية والترف ، والمقلون لا يعدمون ما يوفر لهم المتعة والارتياح ، بقدر ما فى وسعهم من انفاق •

***

اذا ذكرت « المانيا الغربية » ذكر معها « نهر الراين » ، فماذا ارتسم فى ذهنك مما رايته منه ؟

ـ الحق أن « نهر الراين » كتاب مفتوح ، سجلت فيه خصائص الامة الالمانية ، ونقشت على حواشيه حياتها : دينا وأدبا وفنا وتاريخا •

على شاطئيه اللذين يتحليان بأبهى المناظر ، تنعم القدسية الروحية من كنائس واديار وبيوت دينية عليها جلال العتق والقدم • وكذلك تشيع المهابة التاريخية من منيع المعاقل والحصون ، ورفيع القصور والدور وبينها تربض آثار وانصاب ، كأنما تركها الغابرون حراسا ايقاظا يهتفون ــ فى صمت ــ بالمجد القديم ، والفخر العظيم •

قلما تقرأ اسطورة من القصص ، او انشودة من الشعر ، او لحنا من روائع النغم ، الا وجدت « لنهر الراين » مكانا فيما تقرأ •

النوابغ والفحول من شيعة الادب والفن ، يدينون ــ فيما جادت به قرائحهم ــ لهذا النهر الخالد ، فيه كانت لهم مواطن الهام ، ومنه كانت لهم قبسات العبقرية والابداع •

لقد عبرت « نهر الراين » للنزهة ••• وما كنت احسب ان ستحضرنى ــ أثناء رحلتى ــ هذه الصحبة الطيبة من اطياف الادباء والشعراء والفنانين

فى قديم وحديث ، لتزحم النهر حوالى ، وترافقنى فى عبورى ، كأنما هى تكرم وفادتى على كعبة الادب والفن ، وتمجد معى لذلك النهر يده البيضاء على الوحى المقدس !

***

ماذا كانت ملاحظتك فى شأن شخصية المواطن الالمانى ؟

ــ منذ عهد بعيد ، انطبعت فى اذهاننا معالم للشخصية الالمانية ، ممثلة فى صورة القيصر « غليوم الثانى » ، مضرم الحرب العالمية الاولى ، بشاربه المسنون الطرفين وخوذته العسكرية ، وخطواته الصلبة التى تنم عن السطوة والعنف والجبروت . وليست صور اضرابه من القواد الالمان ، من قبله ومن بعده ، أمثال « بسمارك » و « هندنبرج » باقل جهامة وعنجهية وصلفا .

وقد كان لهذه الصور رواسب فى مخيلتى ، وأنا أدق باب «المانيا الغربية» مستأذنا فى الدخول على ترقب ومحاذرة ... فما اقتضت زيارتنا لها ان نخالط أهلها ، وندامجهم فى المطاعم والمتاجر والاندية والمركبات ، حتى ذابت تلك الرواسب وتبخرت ، وحل محلها صورة للمواطن الالمانى الاريحى ، بمحياه البسام ، وطبعه السمح وأدبه الكبير .

لا يحس زائر «لالمانية» بانه فيها غريب ، فكل من فيها كأنما بينك وبينه أواصر ود او تعارف ، يخدمك اذا طلبت خدمته ويسرع الى نجدتك اذا احس بحاجتك الى النجدة ، ولا يظن عليك بشىء فى مستطاعه أن يبذله .

وحسبى أن أذكر أنى ما كنت فى تنقلاتى بين البلاد الالمانية أهم بركوب القطار ، او النزول منه ، الا وجدت بين رفاقى من الركاب من يتطوع ليكون حمالا معى ، بلا اجر ، بلا طلب ، بلا انتظار لكلمة الشكر !

ومرات ، كنت أسأل عن بعض أمكنة ، منها ما هو بعيد الشقة ، فاذا المسؤول يرافقنى وربما ركب معى ، حتى يبلغنى المكان المنشود ، أو يهدينى طريقى اليه !

محمود تيمور

السمين والنحيل

بقلم : **انطون تشيخوف**

التقى صديقان فى محطة موسكو الرئيسية، احدهما سمين والآخر نحيل . وكان السمين قد تناول قبل‌مدة وجيزة اكلة دسمة فى مطعم المحطة. فكانت شفتاه تلتمعان كالكرز الناضج ورائحة «الكونياك» الفرنسى واللفائف الغالية تضوع منه . اما النحيل فكان قد نزل فى التو من القطار يحمل الحقائب والرزم وعلب الورق المقوى . وكانت رائحة النقانق وثقل القهوة الرخيصة تضوع منه ، وقد ظهرت خلفه امراة عديمة الجاذبية ذات ذقن حاد - زوجته - وطفل طويل القامة - ابنه - يبدو انه طالب فى مدرسة ثانوية

صاح السمين وهو ينظر الى النحيل فى دهشة :

- بو رفريغ ! اهذا ممكن ؟ اهذا انت حقا ؟ كم سنة مضت دون ان يرى احدنا فيها الآخر !

فاجاب النحيل مستغربا :

- يا الهى ! ميشا ! صديق طفولتى ، ما الذى جاء بك الى هنا ؟

تعانق الصديقان والدموع تتسابق الى محاجرهما . وبعد السلام والتحية بدأ النحيل :

- صديقى فى السابق ! حقا انى لم اتوقع هذا ! يالها من مفاجأة ! انظر الى، هل تغيرت كثيرا ؟ والآن كيف حالك ؟ هل اثريت ؟ تزوجت ؟ اما انا فانى متزوج كما ترى ... هذه زوجتى لويزا من مواليد مونتباخ .. المانية .. وهذا ابنى نتنيل تلميذ فى السنة الثالثة . هذا يا نتنيل ، صديق طفولتى ! فرفع نتنيل قبعته واستطرد النحيل قائلا :

- اجل . لقد جلسنا على مقعد واحد ... جنبا الى جنب . اتذكر كيف اطلقنا عليك اسما مضحكا ، لانك ثقبت كتاب احد الطلاب بسيكارتك ؟ يا الهى ! كنا آنئذ لا نزال اطفالا . لا تخجل يا نتنيل ، اقترب !

فاخفى نتنيل راسه فى ظهر ابيه . وسأل السمين زميله فى المدرسة وهو ينظر اليه فى لطف :

- ما هى مهنتك الآن ؟ هل انت راض بنصيبك ؟ وهل شققت لك طريقا فى الحياة ؟

ـ انا راض بنصيبي يا عزيزي ! انى موظف حكـومى • فانـا اشتغل منذ سنين معاونا فى المحكمة وقد حصلت على امتيـاز • ان الاجر لضئيل ••• لكننا نستطيع ان نعيش ! فزوجتى تعطى دروسا فى الموسيقى وانـا اصنع فى اوقات فراغى علب السكائر من الخشب وابيع العلبـة بروبـل واحد ، الا انى امنح تخفيضات لكل من يشترى عشر قطع دفعة واحـدة • اننـا ـ كمـا قلت ـ نعيش • لقد كنت فى السابـق موظفـا بتـرسبـورغ ثم نقلـت الى موسكو ••• لكن حدثنى عن نفسك قليلا • هل صرت مستشارا حكوميا ••• هـم ؟

اجاب السمين مبتسما •

ـ يجب ان تزيد فى قدرى قليلا يا صديقى ! لقـد صرت مستشـارا سريـا واشغل مرتبتين من ارفع المراتب •

اصفر وجه النحيل واضفى على صديق طفولته نظرة جامدة • ثم التمع وجهه وبرقت عيناه وتفتحت اساريره عن ابتسامة عريضة طويلة • لقد بدا فجأة صغيرا نحيلا جدا ••• وازداد ذقن زوجته حدة • وانتصب نتنيل وهو يشد ازرار سترته •

ـ انا ، يا صاحب المعالى ! ••• تشرفنـا ! فلنقـل صـديق الطفولة !••. ويحتل هذه المرتبة !

قال السمين وقد تغضن جبينه •

ـ دعك من هذا ! فما هذا الهراء ؟ صديقان قديمان مثلنا ـ اتريد ان تنفث دخان القداسة حولى ؟

فقال النحيل وهو ينحنى الى القاع •

ـ اسمح لى ••• لطف سماحتكم •.• انا سعيد بذلك جـدا ••• هذا ، يا صاحب السمو ، ابنى نتنيل ••• زوجتى لويزا ••• من اتباع لوثر الى حد ما

وعن للسمين ان يجيب على ذلك ، ولكن وجه النحيل فاض بتعابير الخوف•• العبادة تقريبا ، بحيث أن المستشار السرى التفت ومد يده ، فى قرف ، لوداعه فمسك النحيل ثلاثة اصابع من تلك اليد فى خشوع ••• وانحنى بعمق اكثـر وهو يتمتم بلا داع ••• وابتسمت زوجته فى حيرة ، وحـك نتنيل رجلـه ، ووقعت قبعته على راسه لكثرة حماسه •

لقد كان الثلاثة كالمصابين بالدوار •

نقل ابو العيد دودو

الشعر الغنائي الاندلسي وظهور الشعر الغنائي « الرومـــاني »

(3)

بقلم ايميليو غرسيه غومز

نقله الى العربية محمد العربى عبد الرزاق

♦ هل الخرجات جـزء من الشعر الشعبى :

اما السؤال الثالث والاخير(*) فهو التالي: هل تمثل الخرجات نوعا من الشعر الشعبي ؟ وسوف لا أجيب عن هذا السؤال جوابا مفصلا، نظرا لضيق الوقت، بل أكتفي بتقديم رأيي الخاص وأقتصر على ذكر بعض ملاحظات أستمدها من تجربتي.

أعتقد أن الخرجات الرومانية تعود في الواقع إلى ميدان الادب الشعبي وبالطبع فاني لا أقصد من كلمة "شعبي" المعنى الرومنطيقي ولا أريد بها نعت أثر غير شخصي يعود الى الشعب في مجموعه زيادة على كونه مجهول القائل. فكلّ أثر فني هو من خلق صانع معين وهو بالتالي شخصي. ومعنى كلمة "شعبي" هنا هو ما يقصده (مننذز بيدال) عندما يتحدث عن شعر "التقاليد" اى عن شعر يتقبله الشعب ويتبناه، ممّا يمكّن ايًّا كان من تغييره وتنقيحه وتحويره كما لو كان ملكه الخاص.

ومن جهة أخرى فالخرجات – في نظري – شعبية بمعنى ثان وهو أدبي بحت. فهي شعبية إذا قابلناها بفنّ أشد ظرفا أو أكثر تشعبا وتفقّها. شأنها في ذلك شأن الموشح بالنسبة الى القصيدة القديمة (....) وليس المدار في الامر على الطبقة الاجتماعية التي يرجع اليها أصل الشاعر بل المهمّ هو نية الشاعر عند نظمه القصيد.

وليس يخفى على أي باحث في الادب الاسباني ما أقصده عندما أؤكد ان الخـرجـة تـوازى تـمـامـا الـ"فـيلانثيكـو" (Villancico). لنفتح كتاب "الاغاني القشتالية" الذى الفه (سيخادور) (1) : فانا نلاحظ ان جميع

*) راجع الفكر – العددين 3 .. 4 .. السنة 8 .

1) CEJADOR : La Verdadera poesia Castellena

"الاغنيات" التي احتوت عليها هذه المجموعة تكتسي صبغة شعبية. ولكنا اذا طرحنا جانبا هذا الشكل الشعبي فهل يمكن ان نقول انها شعر شعبي حق ؟ قد يصح هذا القول في البعض منها بدون شك، كما يكون مخطئا في البعض الآخر.

ويفرق بين هذه القصائد وتلك ميدان غير واضح الحدود، ولا أظن انه يوجد من يقدم على اقامة حدود بينة في هذا الميدان. وهذا ما حدث بالنسبة الى الخرجات أيضا .فبعضها يكتسي شكلا شعبيا وبعضها يخلو من ذلك وفيها ما نقف عاجزين عن البتّ في أمرها. ومع ذلك فانها تتصف كلها ــ كما رأينا ــ بقدر من "الشعبية" في معناها الخاص". والمسألة هنا مسألة حدس وتجربة يعود الامر فيها الى الذوق والحساسية والشم". وانا لنجد كذلك عند لوب دي فيغا (Lope de Vega) وعند غنغورا (Gongora) وعند تيرسو دي موليتا (Tirso de Molina) بعض "الفيلانثيكوس" أو الترجيعات التي يصعب البت في امرها. فهل هي مقطوعات قصيرة من الشعر الشعبي تتناقلها الافواه ؟ وهل ادخل عليها الشاعر الذي اقتبسها شيئا من التنقيح ؟ وما هو قدر تنقيحه ؟ أو هل هي من اختراع هذا الشاعر نسجا على المنوال القديم ما أصعب البت في هذه الامور ! لكن لنعد بعض قرون إلى الماضي ولننتقل من العالم المسيحي الى العالم العربي، ولنقل : "خرجة" عوض "فيلانثيكو" ولنقل "الاعمى التطلي" أو "ابن بقي" أو "الكميت" عوض عن "لوب" أو "غنغورا" أو "تيرسو" : فاذا نحن في نفس الوضع. وهكذا فان كانت بعض الجزئيات لاتزال غامضة علينا، فجوهري الامور يبدو لنا واضحا بيّنا.

وقد أطلت بلا شك في هذه النقطة. فلنطبق إذن على الخرجات الرومانية نفس المعيار الذي نطبقه على الشعر الشعبي الراجع الى "العصر الذهبي" (Siglo de oro) فهو المعيار الوحيد الذي نملكه فيما يخص هذا الشعر، وقد رضينا بنتائج تطبيقه. أفلا يكون منّ الخور أن نتطرف في النقد والتحرّي وأن نكون أكثر شدة على أنفسنا عند دراسة الشعر الشعبي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر (اي الخرجات الرومانية) منّا عند دراسة الشعر الآخر.

4 ــ الخرجة بالعربية العامية : نوع ثالث من القصيد العربي الاسباني وأريد أن أشير الآن في استطراد قصير إلى نقطة اعدّها هامة، وقد لفت النظر

اليها في دراستي "حول نوع ثالث ممكن من الشعر العربي الاندلسي"(2). وسأحاول أن أكون أكثر ايجازا ووضوحا.

فأنا أرى أن الموشح في بداية عهده كان يتضمن دائما خرجة رومانية. ولمّا تأصل هذا الفنّ وذاع صيته طرأ عليه تطوّر ملموس لاسباب متعددة فأخذ الشعراء ينظمون الخرجات بالعربية. فكان بعضها بالعربية الفصحى — وقد اعترف ابن سناء الملك بصحتها وان كان ابدى بعض تحفظات فيما يخصها وهذا النوع من الخرجات لايثير مشاكل من نوع خاص : فهي من آثار اصحاب الموشحات التي وردت فيها، وقد تأثرت بالتطورات التي أشرنا اليها من "تظرف" و"محاولة رجوع الى صلب الشعر الكلاسيكي". ولكنك تجد خرجات أخرى نظمت بالعربية العامية أو السوقية — وهي أكثرها عددا ونحن نعرف عددا كبيرا منها بفضل مجموعات ابنُ بشرى وابن الخطيب.

فهل هذه الخرجات العامية من نظم أصحاب الموشحات التي وردت فيها ؟ يكون ذلك أحيانا لكنه قليل. لكنني أرى ان هذه الخرجات قد وجدت — في معظمها — قبل الموشحات التي تتضمّنها. وانها كانت في صورة أنشودات قصيرة مستقلة بذاتها. وقد أخذها الشعراء فيما بعد وضمّنوها في موشحاتهم مثلما حدث في الخرجات الرومانية تماما. ونفس الادلة والاسباب تصح في كلتا الحالين.

ويتلخص الافتراض الذي اقدمه فيما يلي : فالأغنيات القصيرةالرومانية (التي كانت في أول أمرها مستقلة عن الموشحات قبل أن تدخل فيها في صورة خرجات) قلّدها الاندلسيون فألفوا عليها أغنيات قصيرة بالعربية العامية، مستقلة هي أيضا عن الموشحات التي اندرجت فيها في صورة خرجات. وهذه الاغنيات العربية القصيرة تكوّن ما سميته "النوع الثالث الممكن مـن القصائد العربية الاسبانية". وهي لاتختلف عن سابقاتها إلاّ من حيث اللغة. وهي تشاكلها في سائر النواحي من وزن شعري واعتماد على المقاطع ومن أغراض وجوّ شعري واجتماعي الخ... هذا وان كل علماء اللغة "الرومانية" يهتمون بالخرجات المنظومة بالرومانية اكثر من اهتمامهم بالخرجات المنظومة بالعربية العامية ثمانّ مؤرخي الادب يولون النوعين قدرا احدا من الاهتمام. ثم اني أعود فأؤكد أن لافرق البتة بين هذه القطع الشعرية الصغيرة فيما عدا الفارق اللغوي إلاّ أنّ علماء اللغة لايتصرفون إلاّ فيما يقرب من الخمسين قطعة بينما يعتمد المؤرخون على ثروة تقارب المئتين من النصوص. فقد كانت الاندلس

2) انظر : .Estudios Ledicados a Menendez Pidal (ج 2 - ص - 397 - 408)

في أول عهدها مزدوجة اللغة فكانوا يعمدون الى استعمال "قفيلات" (Coplillas) منظومة باللغة "الرومانية" ثم تطور الامر فأصبحوا لايفرقون بين الخرجات الرومانية أو العربية — وقد كانت على منوال واحد —، ثم آل بهم الامر أخيرا إلى الاقتصار على نظم الخرجات بالعربية — وهو أمر طبيعي —. وليس من الغريب أن نرى أنّ أكثر ما وصل الينا من الخرجات هو من هذا النوع الاخير.

5 — الخرجات «الرومانية» والخرجات العربية العامية وعلاقتها بالشعر الاسبـاني

• الخرجات الرومانية وفقه اللغة الرومانية :

أراني وقد أشرفت الآن على الجزء الاخير من هذه البسطة،، يحاصرني الشك ويداخلني اليأس في أن أكون قد أدركت غايتي لما يبدو لي من صعوبة موضوعي وتشعبه.

وعلى كل فالخرجات الرومانية الخمسون التي وقع العثور عليها تكوّن — رغم ما يحيط بها من شبهات مختلفة — مادة خاما من الطراز الاول بالنسبة الى الباحثين. وهي محل شوق واندفاع لكونها اقدم أثر للشعر الغنائي الاوروبي باللغة العامية ولأنها تدفعنا إلى التساؤل عما كانت عليه العلاقات المتبادلة بين مختلف أنواع الشعر الغنائي "الروماني" واني أترك مهمة بحث هذه المشاكل لصديقي الجليل الاستاذ (رونكاليه)(3)، اذ لا أريد أن أزج بنفسي في ميدانه. لكني سوف أقتصر — وقد دعيت هنا بصفتي مستعربا واسبانيا — على تقديم بعض آراء حول أهمية هذه الاكتشافات الأخيرة بالنسبة الى تاريخ الآداب الاسبانية، معتمدا في ذلك بعض ملاحظات استمدها من كتاب أنا الآن بصدد تأليفه.

• الخرجات الرومانية والادب الاسباني :

سوف لن ألح كثيرا — نظرا لضيق الوقت — على الاهمية الادبية الناتجة عن اكتشاف الخرجات. فلقد أكدها (دامازو آلونزو)، وأصبحت هذه النتائج معروفة تتلخص في الرجوع بميلاد الادب الاسباني قرنا الى الوراء، وفي تحويل وجهة البحوث اذ ان هذا الادب لم يعد يبدأ — حسب هذه النظرة —

(3) La lirica Arabo-ispanica et il sogere delle lirica romanza fuori della Penisola Iberica (Actes du 12ième Congrès Volta). Aurelio RONCAGLIA

الجديدة – بالشعر الملحمي، لكن بالشعر الغنائي. هذا بالاضافة الى التنقيص من دور تأثير الشعر الغنائي الغالي ـ البرتغالي – (Galaico portugais). لكن الامر يتعلق هنا بأصول هذا الادب، ولست أريد الا التعرض لبعض الاضواء الجديدة الملقاة على أدبنا في تطوره .

• أهي جزر متناثرة من الشعر الغنائي أم قارة متلاحمة الاجزاء ؟

ان مجموعة "القفيلات" (Coplillas) المنظومة باللغة الرومانية تبدو لبعض الباحثين كواحة من الشعر الغنائي وسط القرون الوسطى، وكأنها خيال سابق عجيب للاراضي التي سوف يكتشفها شعرنا الغنائي بعد عهد طويل. وقد شبهها غيرهم من الباحثين بغصون أزهرت لكنها لم تلبث أن ذوت أزهارها فحملت نسمات الحضارة بذورها الى جهات اخرى من شبه الجزيرة الاسبانية وبلاد"رومانيا" (Romania). غير أني ارى فيها شيئا مخالفا. فقد اتصلت مجاريها – كما كنت ذكرت – بسيل "القفيلات" العربية العامية منذعهد مبكر، ذلك السيل الذي تواصلت نغمة خريره الحبيب مدة قرون عديدة وفي الحقيقة فان عدد هذه "القفيلات" الاخيرة أكثر بكثير من عدد أخواتها الرومانية، لكنها تختلف عنها من حيث اللغة فحسب لامن حيث الروح. ومن جهة أخرى فان الجدول الصغير الذي تبقى من السيل الاول اتحد مع التيار الثاني قبيل عصر النهضة واختلطا بشعر غنائي قشتالي شعبي الروح ما فتيء يروى بمعينه كامل العصر الذهبي (Siglo de oro) وتواصلت بقاياه الى يومنا هذا. ونحن نستطيع اليوم ان نستمع الى شهادة ثمينة بقيت لنا بأعجوبة، في حال ضاع العدد العديد من الشهادات الاخرى، وهو قول الكاتب "ساليناس" في كتابه "في الموسيقى" المؤلف سنة 1577 : "إنه وقع تعويض النص العربي (كلفي ڤي كلفي   كلفي عربي)
(Calvi vi Calvi)   (Calvi arabi)

بالنص القشتالي :   الملك المنش   ملكي العظيم
(rey mi Senôr)   (Rey don Alfonso)

في نفس النغمة واللحن. وقد كانت هذه الحال بالنسبة لعدد آخر من الالحان .

وهكذا فان الشعر الغنائي المتصل بالقفيلات الرومانية القديمة ليس منقسما كالينابيع المشتتة في جزر أرخبيل فقير. بال انها تتصل بالقفيلات العربية

العامية كما تتصل هذه الاخيرة بالفيلانثيكوس (Villancicos) وكما تتصل الفيلانثيكوس بالقفلات (Coplas) التي ما برح الناس ينظمونها ويتغنون بها الى الان تحت سماء اسبانيا. بل وكل البلاد الناطقة بالاسبانية. وانها في مجموعها لاتروى قارة من الشعر الغنائي، متماسكة مترامية الاطراف وقلّما تجد شعرا شعبيا – بل لن تجده أبدا – يستطيع أن يعرض في لغتين مختلفتين أصولا في هذه الوحدة والتماسك. فقد تمكن هذا الشعر الغنائي من غزو جانبي المحيط الاطلسي، وأبدى منذ القرن الثاني عشر الى اليوم حيوية لم تنقطع، واستطاع أن يحتفظ بنفس القلب خلال التحولات والمراحل والتطورات ورغم ما تحمّله على شاكلة كل كائن حي.

• اتفاق في الاغراض والاوزان والابيات :

وهذا الشعر تراه طيلة عشرة قرون يطرق نفس المواضيع أو يطرق بصفة أدق، مواضيع متداخلة وثيقة الاتصال ببعضهاولست أفكر هنا في مضمونها الحرفي الذي يمكن ان يكون واحدا او متخالفا، فلا شيء أدعى الى الخطإ من بعض المشابهات الوثيقة الباهرة التي تكون محدودة. انما هي اغراض متماسكة منسجمة يمكنها أن تعيش جنبا الى جنب في جوّ روحي واحد. وهذه القرابة العميقة أهمّ بكثير من مشابهة سطحية.

أما الاوزان الشعرية والايقاعية فهي نفسها (...) ونحن نعلم ان كامل الخرجات المستعربة (Mozarabes) والمنظومة بالاندلسية العامية بعيدة كل البعد عن أن تساوي حجم المجموعة الواسعة الضخمة التي يكونها الادب الشعبي القشتالي. فلا نكاد نجد من مجموعة الاغاني العربية الاسبانية ما لا ينطق عليه شكل معين من مجموعة الاغاني القشتالية التي يمكن تنظيمها وترتيبها دون صعوبة كبيرة. وفيما يخص "الفيلانثيكوس" فالموافقة الوزنية تامّة. ونرى صحة هذه المشابهة أيضا في الفقرات النادرة أو في بعض الفقرات التي اشتهر القول بأنها عصرية.

وقد كان (مننذز بيدال) كتب في كتابه : « **الشعر العربي والشعر الاروبي** » (1941 – ص 15) – وكان اذذاك مشغولا بالفقرة الزجلية – فقال : "وبعد الانتهاء من بحث تاريخ "السيغويديلا" (Seguidilla) وتاريخ "الكوارتيتا" (Cuarteta) اتضح انها ليست من الاحداث الادبية الاساسية وان ظهور هذه الاشكال الشعرية لا يتجاوز القرن السادس عشر".

وقد غيّر الاستاذ رأيه منذ ذلك الحين، وهذا ليس بغريب عندنا فالخرجات تتضمن بعض "الكوارتيتا" والموشحات تشتمل على بعض "السيغويديلا" بل وانا نجانب أحيانا الاسلوب الفني "بي كويبرادو"(Coplos pie quebrado). الذي لم أيأس بعد من ان أجد له مثيلا في اللغة العربية.

وبما ان الاوزان الشعرية متماثلة فالابيات متماثلة كذلك. فأبيات المجموعة الاسبانية العربية التي تتراوح بين المقطعين والاثني عشر مقطعا تقبل كل التركيزات الايقاعية والتأكيدات الصوتية الممكنة، بل انك لتجد الابيات ذات تسعة مقاطع التي اشتهر عنها أنها فرنسية الاصل، والابيات ذات أحد عشر مقطعا على المنوال الايطالي، كما نجد أبياتا أخرى على نحو " الفن الاكبر " (Arte Moyor) ولن نقول بوجود أبيات مقاطعها أكثر من الاثني عشر — لانها في الاسبانية تكون دائما مركبة (7 + 7 مقاطع أو 8 + 8) — لكن هذه الاشكال المركبة توجد أيضا في الاغاني العربية الاسبانية (...) وليس من اللازم أن أقول ان هذا المظهر من الاوزان القائمة على "عدّ المقاطع" يتطلب دراسة أوفى بكثير من التي قدمناها.

• **خاتمة :**

أريد أن لا تقبل عناصر هذه الخاتمة حرفيا، فاني أرتجلها وقد تسير بي الخطى ابعد ممّا يجب.

اني أشعر أن كل الشعر الاسباني تقريبا حتى أواخر العصر الذهبي — اذا استثنينا وزن "السير الملحمية" وأبيات الـ (pie de Romance) المتجانسة لقوافي، والـ(Cuardena via) ، واذا استثنينا طبعا كل الشعر الايطالي الاصل — كانت موجودة بعد بالاندلس في ثنايا النظام العروضي الشعري الضخم المتشعب الناتج عن تطور الشعر الشعبي القائم على الفقرات وازدهاره (بما في ذلك من موشحات وأزجال وخرجات).

وليس معنى هذا ان كل شيء جاءنا من العربية. فالباحث الذي يتوغل في هذا الميدان يكتشف تأثيرات واضحة يضيق عنها العروض والقياس المضلل

وهو يصطدم في كل خطوة يخطوها بمشاكل غامضة لم تجد بعد حلاً. وكل أمر يجب أن يدرس على حدة دراسة وافية عميقة. ولقد اردت في هذا البحث ان ابرز ثروة هذا العالم الجديد الذي يتحتم سبرغوره. اما أنا فلم اكشف منه إلاّ جزءا يسيرا، وبه أستطيع أن أجزم بصحة بعض المقارنات والقياس. ولهذا السبب فاني سوف أجعل للكتاب الذي انا الآن بصدد إعداده حول هذا الموضوع عنوانا يلخص العرض الذي تشرفت بتقديمه هنا. وسيكون هذا العنوان – ان شاء الله – : "الخرجات والفيلانثيكوس والقفلات : شعر واحد لا يتجزأ".

(انتهى)

تعريب محمد العربي عبد الرزاق

عن مجلة (ARABICA)

كاليغولا

تأليف البار كامو
نقلها الى العربية حسن الزرلحه

ـ الفصل الثالث ـ

المشهد الاول (1)

(قبل ارتفاع الستار دوى طبول واسطوانات نحاسية . يرفع الستار عن شبه « حفلة سوق » فى الصدر ستار وأمامه على منصة صغيرة ، هيليكون وسيزونيا . العازفون واقفون من الجانبين . بعض النبلاء جالسون ظهورهم الى النظارة ومن بينهم سيبيون)

هيليكـــون ـ (يتكلم كالمنادى فى الحفلات الشعبيـة) اقتربوا ، اقتربوا ! (الاسطوانات النحاسية) نزل الآلهة مرة اخرى الى الارض. وقد اعارهم كايوس القيصر والاله المكنى بكاليكولا ، شكله البشرى . اقتربوا ايها الميتون الغلاظ . المعجزة المقدسة تقع على عيون الاشهاد . الاسرار الآلهية تعرض لانظاركم، وهى ميزة يمتاز بها ملك كاليكولا المبارك . (الاسطوانات النحاسية) .

سيـزونيـا ـ اقتربوا ايها السادة ! تعبدوا وقدموا صدقاتكم . فان السر السماوى يعرض اليـوم باسعار فى متناول الجميـع (الاسطوانات النحاسية)

هيليكـــون ـ جبل الاولنب بما فيه من معابر ، ومناورات واسرار وخيانات ودموع . اقتربوا اقتربوا لتعلموا جميع الحقائق عن آلهتكم (الاسطوانات النحاسية)

سيـزونيـا ـ تعبدوا وتصدقوا . اقتربوا ايها السادة . ستبتدى الحفلة . (الاسطوانات النحاسية) (العبيد يضعون اشياء مختلفة على المنصة) .

---

(1) راجع «الفكر» ـ العددين 4 و 5 ـ السنة 8 ـ

هيليكــون ـ اعادة الحقيقة بصورة مدهشة • انجـاز لم يسبـق له نظير • اضخم المظاهر للقوة الالهية جيء بها على وجه البسيطـة • حفلة تفوت الحدود • الصاعقة (العبيد يشعلون الصواريخ) الرعد (يجرون برميلا مملوءا بالحصى) القدر بعينه فى سيره المنتصر • اقتربوا وشاهدوا (يجذب الستار يظهر كاليكولا فى زى الالهة فينوس ـ زى مضحك)

كاليكــولا ـ (بتلطف ودلال) أما اليوم ، فانى فينوس

سيــزونيـا ـ لنشرع فى العبادة • اسجدوا (يسجـد الجميـع الا سيبيون) واعبدوا بعدى الصلاة المقدسة لكاليكولا فينوس : آلهـة الآلام والرقص

النبـــــلاء ـ « آلهة الآلام والرقص »

سيــزونيـا ـ « المخلوقة من الامواج »

النبـــــلاء ـ « المخلوقة من الامواج »

سيــزونيـا ـ « يا مثيلة الضحك والندم »

النبـــــلاء ـ « يا مثيلة الضحك والندم »

سيــزونيـا ـ « والحسرة والاندفاع »

النبـــــلاء ـ « والحسرة والاندفاع »

سيــزونيـا ـ « علمينا عدم الاهتمام الذى يحيى فينا الغرام من جديد »

النبـــــلاء ـ « علمينا عدم الاهتمام الذى يحيى فينا الغرام من جديد »

سيــزونيـا ـ « ولقنينا حقيقة هذه الدنيا وهى انها لا حقيقة لها »

النبـــــلاء ـ « ولقنينا حقيقة هذه الدنيا وهى انها لا حقيقة لها »

سيــزونيـا ـ « وامنحينا القدرة على الحياة فى مستوى هذه الحقيقة التى لا يعادلها شىء »

النبـــــلاء ـ « وامنحينا القدرة على الحياة فى مستوى هـذه الحقيقة التى لا يعادلها شىء »

سيــزونيـا ـ استراحـة !

النبـــــلاء ـ استراحـة !

سيـزونيـا ـ (تعود الى الدعـاء) اغدقى علينـا هـداياك ، وانشرى على وجوهنا قساوتك الخالية من التحامل ، وبغضك المجرد ، وافتحى فوق ابصارنا يديك الملآيين بالزهور والاغتيالات ٠

النبـــلاء ـ « يديك الملآيين بالزهور والاغتيالات »

سيـزونيـا ـ «واستقبلى ابنائك المفلتين ٠ استقبليهم بملجئك العـارى من حبك ، الخالى من الاهتمام ، من حبك المؤلـم ، وامنحينـا اهواءك التى لا غاية فيهـا ، وآلامـك الخـالية من العقـل « واسرارك التى لا مستقبل لها »

النبـــلاء ـ « واسرارك التى لا مستقبل لها »

سيـزونيـا ـ « انت الخالية ، أنت المحرقة ، انت عديمة الانسانية ، ولكن انت المحبة للارض اسكرينا من خمر مساواتك ، واشبعينا الى الابد من قلبك الاسود المالح

النبـــلاء ـ « واشبعينا الى الابد من قلبك الاسود المالح »

(عند الانتهاء من الجملة الاخيرة من طرف النبلاء ٠ يتحـرك كاليكولا بعد ما كان جامدا طيلة الصلاة ٠ فيتكلم بصوت قوى جدا)

كـاليكـولا ـ منحتكم ما تطلبون يا ابنائى ٠٠٠ ستتحقق رغباتكم (يتربع على المنصة ٠ فيتقدم النبلاء الواحد تلو الآخر فيسجـدون ويقدمون عطاياهم ويقفـون الى اليمين قبل ان يخرجوا٠ يمر الاخير مضطربا وينسى تقديم عطيته ٠ فيثب كاليكولا واقفا) هيه !هيه ! «تعال هنا ياولدى» العبادة شىء جميل ولكن التصدق بالمـال أجمل منهـا ٠ (يعطى النبيل المال) احسنت ٠٠٠ حسنا ٠ لو لم تكن للالهة ثروة غير محبـة البشر ، لكـانوا ء فى فقر كاليكـولا المسكين ٠ ولكـم الآن ايها السادة أن تنتشروا فى انحاء المدينة لتذيعوا خبر المعجزة المدهشة التى اتيح لكم حضورها ٠ فقد رأيتم فينوس رؤية مادية باعينكم ٠ وفينوس تحدثت اليكم ٠ انصرفوا ايها السادة (حركة من النبلاء) لحظة ! اتبعـوا عنـد خروجكم معبر اليسار ٠ لانى وضعت بمعبر اليمين حرسا مكلفين بقتلكم (يخرج النبلاء بسرعـة كبيرة وشىء من الفـوضى يتوارى العبيد والموسيخيون)

المشهد الثانى

هيليكـــون ـ (مهددا سيبيون باصبعه) عدت الى فوضويتك · يا سيبيون !

سيبيـــون ـ (يخاطب كاليكولا) لقد فكرت ياكايوس

هيليكـــون ـ أى معنى لهذا الكلام ؟

سيبيـــون ـ أنت تدنس السماء بعدما ارويت الارض دما ·

هيليكـــون ـ هذا الشاب ولوع بالكلمات الرنانة (يذهب ويمتد على مقعد طويل)

سيـزونيـا ـ (فى هدوء كبير)كم انت تجازف بنفسك · ايها الشاب · فانه يوجد الآن بروما أناس يموتون لانهم تلفظوا بكلمات اقل من هذه فصاحة بكثير ·

سيبيـــون ـ لقد قررت ان اقول الحقيقة لكايوس ·

سيـزونيـا ـ هيا كايوس ، كان ينقص ملكك وجه جميل كهذا للوعظ بالاخلاق الحميدة ·

كاليكـــولا ـ (باهتمام) اذن انت تؤمن بالآلهة ، يا سيبيون ؟

سيبيـــون ـ لا ،

كاليكـــولا ـ لا افهم حينئذ · فلماذا هذه السرعة فى التقاط الكفريات ؟

سيبيـــون ـ يمكن لى أن انكر شيئا والا يكون لى الحق فى تدنيسه أو ان امانع غيرى عن الايمان به ·

كاليكـــولا ـ هذا تواضع ! هذا التواضع بعينه ! آه ياعزيزى سيبيون ! كم انا مسرور من اجلك ، وكم اغبطك · لان التواضع هو الشعور الوحيد الذى قد لا يمسنى أبدا ·

سيبيـــون ـ لست تغبطنى أنا ، بل أنت تغبط الآلهة نفسها ·

كاليكـــولا ـ اذا شئت فان هذا الامر سوف يبقى السر الكبير لعهد ملكى وغاية ما يمكن أن الام عليه اليوم ، هو اننى تقدمت خطوة جديدة فى طريق السلطة والحرية · فان فى منافسة الآلهة لرجل يصبو الى السلطة شيئا مقلقا · فأعدمت هذا الشىء واقمت الدليل لهؤلاء الآلهة الخياليين ان الانسان يستطيع ان يقوم بوظيفتهم المزرية بدون سابق تمرن على شرط ان تكون له ارادة ·

سيبيـــون ـ هذا هو الفكر يا كايوس ٠

كاليكـــولا ـ كلا يا سيبيون ، بل هو التبصر ٠ فقد فهمت انه لا يوجد الا صورة واحـدة يتمكن بهـا الانسان من الاعتـلاء الى صف الآلهة ، وهى ان يعادلهم فى قساوتهم ٠

سيبيـــون ـ وان يكون طاغية

كاليكـــولا ـ وما هو الطاغية ؟

سيبيـــون ـ روح بدون بصيرة ٠

كاليكـــولا ـ هـذا غير متاكـد يا سيبيون ٠ فالطاغيـة هو رجـل يضحى بشعوب فى سبيل أرائه ومطامحه ٠ أما أنا فلا رأى لى ٠ ولم يبق لى ما اصبو اليه من ناحيتى العزة والسلطة ، واذا كنت استعمل هذه السلطة فذلك من قبيل التعويض ٠

سيبيـــون ـ التعويض عماذا ؟

كاليكـــولا ـ عن حماقة الآلهة وبغضهم ٠

سيبيـــون ـ البغض لا يعوض البغض ٠ وتنفيذ السلطة لم يكن حلا ٠ ولا اعرف الا صورة واحدة لرخص عداوة الدنيا ٠

كاليكـــولا ـ وما هى ؟

سيبيـــون ـ الفقـر

كاليكـــولا ـ (مهتم بتنميق رجليه) يجب ان اجرب هذه الصورة ايضا

سيبيـــون ـ وفى انتظار ان تجرب ، فان عددا كبيرا من النـاس يموتون حولك ٠

كاليكـــولا ـ عددهم قليل جدا ، فى الحقيقة ياسيبيون ٠ أتعلم كم هو عدد الحروب التى رفضتها ٠

سيبيـــون ـ لا ٠

كاليكـــولا ـ ثلاث حروب ٠ وهل تدرى لاى سبب رفضتها ؟

سيبيـــون ـ لانك تتهاون بعظمة روما

كاليكـــولا ـ لا ، بل لانى اقدر حياة البشر ٠

سيبيـــون ـ أنت تسخر منى ياكاوس ٠

كاليكـــولا ـ أو على اقل تقدير ، لانى اقدرهـا اكثر من تقـديرى لغايـة الاستيلاء • والحقيقة هى انى لا احترمها أكثر من احترامى لحياتى نفسها • واذا استسهلت القتل فلانه لا يعسر على أن أموت • لا • كلما فكـرت فى الامـر زدت اقتنـاعـا بانى لست طاغية •

سيبيـون ـ وماذا يهم ، ما دامت النتيجة تكلفنا اكثر ثمنا مما لو كنته

كاليكـــولا ـ (بشىء من التضايق) لو كنت تحسن الحسـاب ، لعلمت أن أقل حرب يشنها طاغية عاقل تكلفكم الف مرة أكثـر من تصرفاتى هذه •

سيبيـون ـ لكن العقل يقبلها ، على الاقل ، والمهم هو ان يفهم الناس •

كاليكـــولا ـ الناس لا يفهمون القضاء والقدر • ولذا جعلت نفسى القضاء والقدر • فقد اتخذت وجه الآلهة الحيوانى وغير المفهوم • وهذا ما تعلم عبادته من كان حولك من الرفاق منذ حين •

سيبيـون ـ وهذا هو الفكر يا كايوس ،

كاليكـــولا ـ كلا بل هو الفن المسرحى ، ياسيبيون ، وغلط جميع الناس ، انما هو فى قلة اهتمامهم بالتمثيـل، ولـولا هـذا الغلط لعلموا انه من حق كل انسان ان يمثل الفاجعات السماوية وأن يصبح آلها • ويكفيه فى ذلك أن يجمد قلبه •

سيبيـون ـ قد يكون ذلك فعلا ، يا كايوس ، وكانى بك اذا ما قلت حقا قد اعددت كل ما يلزم لترى فيالق من الآلهة بين البشـر تقف فى وجهك يومـا قاسيـة بدورهـا لتغرق فى الـدم الوهيتك العابرة •

سيـزونيـا ـ سيبيون !

كاليكـــولا ـ (بلهجة حادة وبغاية الدقة) دعيه يتكلم «يا سيزونيا» لا تعلم كـم أنت مصيب فى قولك ، يا سيبيون ؟ لقد اعددت كل ما يلزم غير انى اتصور بصعوبة هذا اليوم الذى نتحدث عنه ، وانما اتخيله أحيانا ، واشاهد على جميع الوجوه التى تتقدم نحوى من ظلمات الليل المريرة ، وعلى ملامحها التى قبحها الحقد والجزع ، اشاهـد بسرور كبير وجـه الآلهـه الوحيد الذى عبدته فى هذه الدنيا، بائسا وجبانا مثلقلب البشر (فى غضب) والآن انصرف • فانك ذهبت بالقول الى اقصى ما يمكن أن تصل اليه (يغير لهجته) لم احمر بعد أظافر رجـلى ••• وقد ضـاق الوقت (يخرج الجميـع الا هيليكون فيستمر يطوف حول كاليكولا بينما يشتغل هذا بصبغ اظافره) •

المشهد الثالث :

كاليكولا ـ هيليكون !

هيليكون ـ ماذا ؟

كاليكولا ـ هل تقدمت فى عملك ؟

هيليكون ـ اى عمل ؟

كاليكولا ـ القمر !

هيليكون ـ نعم ، فى تقدم ، المسألة تتطلب قليلا من الصبر ، لا أكثر ولكنى اود أن اتحدث اليك ٠

كاليكولا ـ قد اجد الصبر الذى تقول ، ولكن ليس لدى كثير من الوقت، يجب أن تسرع يا هيليكون ٠

هيليكون ـ قلت لك انى سأبذل كل جهدى ٠ ولكنى أود قبل ذلك أن أخبرك باشياء خطيرة ٠

كاليكولا ـ (كأنه لم يسمع) وألاحظ لك انى ظفرت به بعد ٠

هيليكون ـ ظفرت بمن ؟

كاليكولا ـ بالقمر

هيليكون ـ طبعا ، طبعا ٠٠٠ ولكن اتعلم انهم يأتمرون بك ليقتلوك ؟

كاليكولا ـ وأزيدك انى ظفرت به تماما ٠ ولكن فى الحقيقة مرتين أو ثلاث فقط ٠٠٠ غير انى ظفرت به على كل حال ٠

هيليكون ـ لقد مضى وقت طويل وأنا احاول التحدث اليك ٠

كاليكولا ـ كان ذلك فى الصيف الفارط ٠ قضيت وقتا طويلا وأنا انظر اليه واداعبه على اسطوانات الحديقة ٠ وفى النهاية فهم قصدى ٠

هيليكون ـ كفانا من هذا اللعب ، ياكايوس ٠ اذا أنت لا تريد الاصغاء الى ، فان وظيفتى تأمرنى بأن أتكلم بالرغم من صدودك ٠ وشأنك اذا ابيت أن تصغى ٠

كاليكـــولا ـ (مستمر فى تحمير اظافره) هذا الدهن غير صالح • لنعد الى حديثنا عن القمر كان ذلك فى ليلة جميلة من ليالى اوت (هيليكون يعرض غيظا ويسكت) فأبدى شيئا من الدلال وكنت ممتدا على فراشى • فكان كله دما عند طلوعه ، فى الافق • ثم أخذ يصعد رويدا رويدا ويزداد خفة شيئا فشيئا • ثم اخذ يسرع فى الصعود • وكان يزداد انشراحا ونورا كلما ازداد صعودا حتى صار كالبحيرة الفضية الماء فى وسط ذلك الليل الذى ملأته خشخشة النجوم • فتقدم ضدها ، وكان جميلا لطيفا ، خفيفا عاريا فدخل البيت ووصل الى فراشى وسال فيه ، وغمرنى بنوره وبسماته ••• حقا ان هذا الدهن لا يصلح لشىء • أرأيت يا هيليكون انى أستطيع الجزم بانى نلت القمر بدون ما فخفخة •

هيليكـــون ـ أتريد أن تصغى الى لتعلم ما هو الخطر الذى يهددك ؟

كاليكـــولا ـ (يتوقف عن تزيين أظافره وينظر اليه بحدة) انى لا اريد الا القمر ، يا هيليكون ، وأنا اعلم سلفا أى شىء سيقتلنى• وانى لم انفذ بعد كل ما يمكن أن يعيشنى • ولذا اريد القمر • وسوف لا تعود أمام ناظرى ما لم تنلنى اياه •

هيليكـــون ـ سأقوم بواجبى وأقول ما على أن أقوله • لقد انتظمت مؤامرة ضدك • يرأسها شيريا • وقد ظفرت بهذه الصفيحة وستجد فيها أهم ما فى الامر • وهأنا أضعها أمامك (يضع الصفيحة على احدى الارائك ويخرج) •

كاليكـــولا ـ الى أين يا هيليكون ؟

هيليكـــون ـ (على الباب) الى البحث عن القمر •

المشهد الرابع

(نقر على الباب المقابل ـ يلتفت كاليكولا بذعر فيرى الشيخ النبيل)

الشيـــخ ـ (يتردد) أتاذن ، يا كايوس ؟

كاليكـــولا ـ (بفقدان صبر) أدخل (ينظر اليه) أتيت لمشاهدة فينوس من جديد يا جميلتى ؟

الشيـــخ ـ ليس هـذا الغـرض من مجيئى • آشت ••• آه ! عفـوا ، يا كايوس ••• اردت أن أقول •• أنت تعلم شدة حبى لك ••• ثم انى لا ارغب فى شىء سوى أن انهى ما تبقى من حياتى فى الامن والسلام •

كاليكـــولا ـ اسرع ، اسرع •

الشيـــخ ـ نعم ••• حسنا ... (بسرعة) المسألة خطيرة جدا ••• هذا كل ما هناك •

كاليكـــولا ـ كلا ••• انها ليست خطيرة

الشيـــخ ـ أى مسألة ، ياكايوس ؟

كاليكـــولا ـ وفيم تتحدث الآن يا غرامى ؟

الشيـــخ ـ (ينظر من حوله) معناه ••• (يتردد ثم ينفجر) مؤامرة ضدك

كاليكـــولا ـ أنت تخمر ••• هذا ما كنت أقول•••ليس هناك خطر بالمرة

الشيـــخ ـ كايوس ! انهم يريدون قتلك

كاليكـــولا ـ (يذهب اليه ويمسكه من كتفه) اتدرى لاى سبب لا يمكن لى ان اصدقك ؟

الشيـــخ ـ (اشارة القسم) اقسم لك بجميع الآلهة ، ياكايوس •••

كاليكـــولا ـ (يتلطف وهو يدفعه نحو الباب) لا تقسم لا تقسم ••• واصغ الى• اذا قلت حقاً وجب على أن افترض انك تخون اصدقاءك• أليس كذلك ؟

الشيـــخ ـ (وقد فقد صوابه) معناه يا كايوس ، ان حبى لك •••

كاليكـــولا ـ (بنفس اللهجة) ولا يمكن أن أفترض منك هذا السلوك • لانى أمقت الجبن الى درجة انه لا يمكن لى أن اتمالك عن الامر باعدام كل خائن • وأنا اعرف قيمتك فمما لا شك فيـه هو أنك لا تنوى الخيانة ولا تريد لنفسك الموت •

الشيـــخ ـ من دون شك ، كايوس ، من دون شك •

كاليكـــولا ـ أرأيت انى كنت محقا فى عدم تصديقك ؟ فانت لست بالجبان أليس كذلك ؟

الشيـــخ ـ آه ! كلا ، كلا ،

كاليكـــولا ـ ولا بالخؤون

الشيـــخ ـ طبعا ، كايوس

كاليكـــولا ـ فلا مؤامرة هناك ، حينئذ ، قل لى ··· أردت أن تمزح

الشيـــخ ـ (وقد انحل) تنادر ···· مجرد تنادر

كاليكـــولا ـ ولا أحد يريد بى شرا ··· هذا مما لا شك فيه ؟

الشيـــخ ـ لا أحد ، لا أحد ··· من دون شك

كاليكـــولا ـ (يتنفس بقوة ثم بهدوء) اذن توارى عن ناظرى ياجميلتى · فان الرجل الشريف الاحساس هو حيوان نادر فى هـذه الدنيا · وهو نادر الى حد انى لا أطيق رؤيته مدة طويلة ··· يجب أن أبقى وحدى لالتذ بهذه الحصة العظيمة ·

المشهد الخامس

(ينظر كاليكولا مدة طويلـة الى الصفيحة من مكانـه ··· ثم يأخذها ويقرأها ، يتنفس بقوة ثم ينادى الحارس)

كاليكـــولا ـ آتنى بشيريا (يهم الحارس بالخروج) انتظـر (يقف الحارس) بكل تقدير واحترام (يخرج الحارس · يتمشى كاليكـولا مدة طويلة طردا وعكسا ثم يتوجه نحو المرآة) كنت قررت أن تكون منطقيا ، ايها الابله ··· يجب أن نعلم عند اى حد نقف (بتهكم) لو يؤتى الى بالقمر · يتغير كل شىء ، أليس كذلك ؟ وكل مـا كان مستحيـلا يصبح فى حيـز الامكان ··· والتبعيـة تغير صورة جميع الاشياء دفعـة واحدة · ولم لا ؟ كاليكولا ؟ فمن يدرى؟ (ينظر من حوله) ألاحظ أن عدد الناس يتضاءل حـولى شيئا فشيئـا ··· أمر عجيب (يخاطب المرآة بصوت دفين) كثر عدد الاموات ··· كثر عدد الاموات ·· هذا عمل يقلل من عدد الناس حولى ··· ولم يعد فى استطاعتى الرجوع الى الوراء ، حتى ولو يؤتى الى بالقمر ، حتى ولو يتحرك الاموات من جديد عندما تلاطفهم الشمس · فان الجريمة لا تدفن فى التراب (بلهجة غضب) المنطق يا كاليكولا ، المنطق يجب أن تتبع المنطق · الحكم الى النهاية ، الاستسلام الى النهاية ! لا ! لا يمكن الرجوع الى الوراء ··· بل يجب مواصلة السير الى النهاية (يدخل شيريا)

المشهد السادس

(يتقاعس كاليكولا على أريكتـه ، ملتفا بمعطفه • تلـوح عليه علامات التعب)

شيـــريـا ـ أرسلت فى طلبى يا كايوس ؟

كاليكـــولا ـ نعم يا شيريا ••• أيها الحرس ، المشاعل ! (سكوت)

شيـــريـا ـ ألك شىء خاص تريد أن تقوله لى ؟

كاليكـــولا ـ لا يا شيريا • (سكوت)

شيـــريـا ـ (فى شىء مـن الغضب) وهـل انت واثـق من أن حضـورى ضرورى ؟

كاليكـــولا ـ كل التأكيد ، يا شيريا (سكوت من جديد ثم بسرعة) ولكن معذرة ••• فكـرى مضطرب ، واستقبلتك بصورة غـير لائقة • انيك هذا المقعـد ، اجلس ولنتحدث كصديقين • فأنا محتاج الى التحدث مع شخص ذكى (شيريـا يجلس ويظن طبيعيا لاول مرة بداية المسرحية) شيريـا ! أترى فى امكان رجلين تساويا عقلا وعزة أن يتحادثا بصراحـة كاملة ولو مرة واحدة فى حياتهما ؟ أن يتحـادثا كأنهمـا عاريان أمام بعضهما تاركين جانبـا كل الظنون وجميـع مصالحهم الشخصية والاكاذيب التى يعيشان بها ؟

شيـــريـا ـ أرى ذلك فى حيز الامكـان ، يا كايـوس ، ولكنى لا أظنـك قادرا على العمل بهذا القول •

كاليكـــولا ـ الحق معك • وانما اردت أن أعلم هل أنت على رأيى ، فلنخف اذن وجهينا وراء قناعين ولنلتجىء الى أكاذيبنا ولنتحدث كما لو كنا نتقـاتل • متدرعيـن متوثبين شيريا ، لماذا لا تحبنى ؟

شيـــريـا ـ لانه لا يوجد فيك ما يحببك الى الناس ، يا كايـوس ، ولان الحب والبغض من الاشياء التى لا يتحكم فيهـا الانسان ، وأيضا لانى أفهمك جيدا ولان الانسـان لا يستطيـع أن يحب وجها يحاول أن يخفيه فى أعماق نفسه •

كاليكـــولا ـ لماذا تبغضنى ؟

شيــــريـا ـ فى هذا اخطأت ، يا كايوس • فأنا لا ابغضك وانما اعتبرك مضرا وقاسيا وأنانيا ، ومتكبرا • ولكنه لا يمكـن لى أن ابغضك لانى لا اعتقدك سعيدا كما انه لا يمكن لى أن اخونك لانى لا اعتقدك جبانا •

كاليكــولا ـ اذن لماذا تريد قتلى ؟

شيــــريـا ـ قلت لك انى اعتبرك مضرا • وأنا ميال ، بل محتاج الى الامن واغلبية الناس مثلى انهم عاجزون عن الحياة فى محيط يمكن فيه لاية مكرة خرقاء أن تدخل فى لحظة واحدة فى حيز الواقع، وتدخل غالبا فى حيز هذا الواقع دخول الخنجر فى القلب وانا مثلهم لا اريد أن اعيش فى هذا المحيط • لانى افضل أن يكون مصيرى بيدى •

كاليكــولا ـ الامن والمنطق لا يتفقان •

شيــــريـا ـ هذا حق • ان ما أقوله غير منطقى • ولكنه تفكير سليم

كاليكــولا ـ استمر •

شيــــريـا ـ ليس لى ما ازيده عما قلت • فانى لا اريد ان اشاركك منطقك فأن تصورى لواجباتى كانسان غير تصورك • ثم انى اعلم ان اغلبية رعاياك تفكر مثلى • فانت عرضة فى وجه الجميع ومن الطبيعى أن تضمحل •

كاليكــولا ـ كل هذا فى غاية الوضوح والشرعية ، بل حقيقى بالنسبـة للاغلبية • ولكن لا بالنسبة اليـك • فانت ذكى والذكـاء يشترى بالثمن الغالى ، أو ينكر نفسه أما انا فانى أدفـع الثمن • فلماذا لا تنكر انت ذكاءك ولا تريد دفع ثمنه ؟

شيــــريـا ـ لانى أحب ان أعيش وان اعيش سعيدا ، ولانى اعتقـد انه لا يمكن تحقيق هذا ولا ذاك اذا اطلقنا العنان للمحال وجميع عواقبـه • فانا مثـل غيرى من البشـر ، واذا احسست بمضايقـة من طرف من أحب ، فانى أتمنى موتـه أحيانـا لاتخلص منه • وقد ياتى لى أن اشعر بميـل نحـو نسـاء تحول دون تحقيقه قوانين العائلة او الصداقة • فاذا اردت أن أكون منطقيا وجب على أن أقتل أو ان املك • غير انى لا اعير أى اهتمام لهذه الافكار المائعة فلو اجتهد كل واحد لتحقيقها لاستحالت الحياة وفقدت السعادة • واعيد لـك القـول بأن الامر الذى يهمنى هـو ان اعيش وان اعيش سعيدا

كاليكولا ـ كلامك هذا يفترض انك تؤمن بالمثل العليا .

شيريا ـ اعتقد انه توجد اعمال اجمل من غيرها .

كاليكولا ـ وانا اعتقد انها كلها سواء .

شيريا ـ اعلم ذلك يا كايوس . ولهذا لا ابغضك . لكنك تضيق على الخناق ولذا وجب اعدامك .

كاليكولا ـ هذا صحيح جدا . ولكن لماذا تخبرني به وتجازف بحياتك ؟

شيريا ـ لان غيري ينوبني في هذه المأمورية ، ولاني ابغض الكذب (سكوت)

كاليكولا ـ شيريا !

شيريا ـ نعم ، كايوس .

كاليكولا ـ أرأيت انه في امكان رجلين تساويا عقلا وعزة أن يتحادثا بصراحة كاملة ولو مرة واحدة في حياتهما ؟

شيريا ـ هو ما كنا نفعل فيما اظن .

كاليكولا ـ أجل شيريا . ومع هذا فانك كنت تظنني عاجزا عن هذا العمل .

شيريا ـ كنت مخطئا ، يا كايوس ، اعترف بغلطي واشكرك . وها أنا الآن في انتظار حكمك .

كاليكولا ـ (في غير انتباه) حكمي ؟ آه ! تقصد ... (يخرج الصفيحة من معطفه) اتعرف هذا . يا شيريا ؟

شيريا ـ كنت على علم انها بين يديك .

كاليكولا ـ (يجلس) اجل ، شيريا . فحتى صراحتك كانت مزيفة . لان الرجلين لم يتحادثا بصراحة كاملة . ولكن هذا لا يهم . والآن سنضرب حدا للعب الصراحة ونعود الى الحياة كما كانت في الماضي . يجب ان تحاول مرة اخرى أن تفهم ما سأقول لك . وان تتحمل شتائمي وخلقي ، اسمع يا شيريا ، هذه الصفيحة هي الحجة الوحيدة .

شيريا ـ انا ذاهب يا كايوس . فقد اتعبني هذا اللعب المكفهر الوجه . فهو وجه اعرفه جيدا ولا اريد أن اراه مرة اخرى .

كاليكـــولا ـ (بنفس اللهجة المتحمسة) بل ابق هنـا لحظة اخرى · هـذه هى الحجة الوحيدة أليس كذلك ؟

شيـريـــا ـ لا أظنك محتاجا الى الحجج لتأمر بقتل رجل ·

كاليكـــولا ـ صحيح ، ولكنى أريد أن أناقض نفسى مرة · وهو عمل لا يضايق أحدا · فجميل أن يناقض الانسان نفسه من حين لآخر فهو عمل مريح ، وانا محتاج الى الراحة يا شيريا ·

شيـريـــا ـ انى لا أفهم · ولا اشعر بميل الى هذه التعقدات ·

كاليكـــولا ـ من دون شك ، يا شيريـا · فانت رجل سليـم · لا تطلب مستحيلا (ينطلق ضاحكا) انت تريد أن تعيش ، وان تعيش سعيدا ، لا غير ·

شيـريـــا ـ أظن أنه من الاليق أن نوقف سير هذا الحديث عند هذا الحد·

كاليكـــولا ـ لم أنته بعد · قليلا من الصبر أرجوك ··· لدى هذه الحجـة انظر ··· أريد ان اعتبر انى لا استطيـع القضاء عليـك بدونها ، هذه فكرتى وفيها راحتى انظر اذن الى ما تؤول اليه الحجج فى يد امبراطور (يقرب الصفيحة من مشعل · شيريـا يقترب منه ـ المشعل يفرق بينهما ـ الصفيحـة تذوب) أرأيت أيها المتآمر انها تذوب ··· وكلما ازدادت هذه الحجة انعداما فان البراءة تزيد شروقا على وجهك · فما اجمل جبينك هذا ، ياشيريا وما اجمل البراءة ، وما اجلها ! تعجب فى صولتى · فان الآلهة نفسهم عـاجزون عن ارجـاع البراءة اذا هـم لم يسلطـوا العقاب اولا · وامبراطورك هـذا لا يحتـاج الا لقبس ليغسـل ذنوبـك ويشجعك ، استمر ، ياشيريا ، وواصل تفكيرك حسب الادلة التى أقمتهـا لى · فان امبراطـورك ينتظـر راحتـه فهى الصورة الخاصة به ليعيش ، وليعيش سعيدا ·

(شيريا ينظر الى كاليكولا فى دهشة · يريد أن يتكلم ثم يعدل ويخرج مسرعا · كاليكولا يستمر ماسكـا صفيحته فوق القبس وهو يتبع شيريا بالنظر مبتسما)

ـ ستـــار ـ

مطالعات

القومية والاشتراكية في شعر الرصافي

تأليف هـلال نـاجـي (254 صفحة)

نقد الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة

معروف الرصافى شاعر العروبة الاكبر ، وصاحب الرسالة الحرة فى الشعر العربى الحديث ، والذى عاش مكافحا ومـات وهو يحمل علم الكفاح فى سبيل وطنه العربى الكبير ، وعقيدته القومية الكبـرى ٠٠ طيلة اثنين وسبعين عاما قضاها وجاب فيها العالم العربى والاسـلامى مشردا مفـزعـا (1873 ـ حتى السادس عشر من آذار 1945 م) ٠

هذا الشاعر الكبير كان من الضرورى ان تخرج عنه هـذه الدراسة العـذراء التى الفها اديب نابه ، وشاعر موهـوب ، وكاتب حـر ، وناقـد ممتاز ومحام جهير ، وثائر عربى جرىء ، هو هلال ناجى ، وهى دراسة تمتاز بالجدةوالطرافة معا ، وموضوعها « القومية والاشتراكية فى شعر الرصافى » ٠

وهلال ناجى فى هذا الكتاب يسلك سبيلا جديدا فى دراسة شعر الرصافى والتعرف الى شخصيته ورسالته ، ويعطينا صورة كبيرة واضحة المعالم لهذا الرائد العربى الحر ، والمفكر القومى الثائر ٠٠

انه لم يكتب عنه من الزوايا الاكـاديمية الجافة الميتة التى كتب غيره فيها ، فأحالوا الرصافى الى شاعر لا رسالة له ، واحالوا شعره الى ادب مدرسى يقرأ ويحفظ للذة الفنية حينا ، ولبعض ما اشتمل عليه من نقد لمجتمعه حينا آخر٠٠ اما ان يكـون الرصـافى مفكرا وذا رسالة ورائدا من رواد القومية العربيـة وداعية الى اشتراكية عربية مثلى ، قبل ان يبشر بهما الدعـاة والاحـرار ٠٠ فهذا ما لم يصنعه الا هلال ناجى فى كتابه القيم الذى هو موضوع الدراسة ٠

واسلوب هلال ناجى فى كتابه اسلوب متميز ، يقصد الى ايضاح الفكرة ، وتأييدها بالدليل تلو الدليل ، وبالحجة اثر الحجة ٠٠ ويستدل عليها من شعر الرصافى دون ان يترك شيئا الا استقصاه ، ولا جانبا من جـوانب البحث الا عرض له وفصل الكلام فيه ٠ ومنهج هـلال فى الدراسة منهج علمى سليم ، فقد عرض فى مقدمة الكتاب للصلة بين الرصافى والقومية العربية ثم افاض فى تحليل مظاهر القومية العربية فى شعره ، من ايمانه بالشعب العـربى ، وفخره بماضى العرب ، وبكائه المجد العربى ، وحبه للارض العربية ، وتحيته

للحركات التحررية فى العالم العربى وكفاحه لاعداء القومية العربية ، وسوى ذلك ٠٠ موضحا نضال الشاعر ضد الاستعمار وعملائه وضد الصهيونيين وانصارهم ٠ ثم ينتقل الى دراسة ايمان الرصافى باهداف القومية العربية من الوحدة ، ومن الحرية ، حرية الفكر وحرية الصحافة ، وحرية الشعوب ، ومن الاشتراكية ودراسة شعر الرصافى فيها ٠

ويختتم هلال ناجى كتابه بنقد كل ما كتب عن الرصافى ومنهج كل كاتب فى بحثه ، وبذلك يكمل الصورة ويوضحها عن الشاعر وشعره والدراسات التى كتبت عنه ٠

ـ 2 ـ

وهذه الدراسة القيمة الجديدة المنهجية التى وفق مؤلفها فيها توفيقا بعيدا ، والتى تعد حدثا جديدا فى دراسة الشعراء ٠٠ ألاحظ عليها غلبة المنهج السياسى فى البحث على المنهج الادبى ، وكثرة ما افاض فيه المؤلف فى شرح الاشتراكية بجميع مذاهبها والوانها ٠٠ الا انها خالية من التقييم النقدى لقصائد الرصافى وشعره ٠٠ ولكنها مع ذلك منهج جديد فى الدراسة الادبية له طابعه ومميزاته وخصائصه ٠

ومن مثل ما نلاحظه على المؤلف قوله فى كتابه القيم الخصب : « وبالرغم من اختلاط الدم العربى بالدم الكردى فى شخص الرصافى فانه لم يتحدث مطلقا عن آمال الشعب الكردى الشقيق فى التحرر وعن حقه فى حكم نفسه بنفسه او بالاحرى عن حقه فى تقرير مصيره » (1)

وانا احمد الله على ان الرصافى لم يتحدث مثل هذا الحديث الذى فرق بين الشعب فى العراق وجعل الاكراد يعتزون بقومية خاصة هى القومية الكردية ويحاربون بها القومية العربية التى عاش من اجلها الرصافى وهلال ناجى ٠

الرصافى الذى يقول عام 1910 فى الدعوة الى الحكم الجمهورى :

ان الحكومة وهى جمهورية　　كشفت عماية قلب كل مضلل
سارت الى نجح العباد بسيرة　　ابدت لهم حمق الزمان الاول

ويقول متنبئا بثورة الشعب العربى ضد حاكميه وظالميه :

الشعب فى جزع فلا تستبعدوا　　يوما تثور به الجيوش وتزحف

ويقول داعيا الى الوحدة الثقافية بين البلاد العربية كافة :

ثم انهجوا فى بلاد العرب اجمعها　　نهجا على وحدة التعليم مشتملا

ويقول فى الدعوة الى حرية الفكر :

اذا كان فى الاوطان للناس غاية　　فحرية الافكار غايتها الكبرى
واوطانكم لن تستقل سياسة　　اذا انتم لم تستقلوا بها فكرا
اذا لم يعش حرا بموطنه الفتى　　فسم الفتى ميتا وموطنه القبرا

(1) ص 154 الكتاب ـ طبع دار العلم للملايين ببيروت ٠

أحريتي انى اتخذتك قبلتي أوجه وجهي كل يوم لها عشرا
اذا كنت فى قفر اتخذتك مؤنسا وان كنت فى ليل جعلتك لى بدرا

ويقول داعيا الى قومية عربية متحررة :

اذا جمعتنا وحدة وطنية فماذا علينا ان تعدد أديان
اذا القوم عمتهم أمور ثلاثة لسان واوطان وبالله ايمان
فأى اعتقاد مانع من اخوة بها قال انجيل كما قال قرآن

والذى يقول منبها الى قيمة العمل والعمال فى الحياة :

كل ما فى البلاد من اموال ليس الا نتيجة الاعمال
ان يطب فى حياتنا الاجتما عية عيش فالفضل للعمال

ويندد بالكبت السياسى والديكتاتورية فى العراق الملكى فيقول :

يا قوم لا تتكلموا ان الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز الا النوم
وتأخروا على كل ما يقضى بأن تتقدموا
واذا افضتم فى المباح من الحديث فجمجموا
من شاء منكم ان يعيش اليوم وهو مكرم
فليمس لا سمع ولا بصر لديه ولا فم
لا يستحق كرامة الا الاصم الابكم

وهلال ناجى الذى يقول : « ان الرصافى قد عبر فى كثير من الاحيان عن ايمانه بمواهب الشعب العراقى ، كجزء من الامة العربية الخالدة وبقدرة هذا الشعب على تحقيق مطالبه واهدافه ، ان الرصافى سجل لشعبنا العربى طموحه ونزوعه الى مستقبل افضل ، وخلد له تضحياته البناءة وقدرته على الفداء (2) »

ويقول : « ان الدور النضالى التقدمى الحاسم الذى تخوضه القومية العربية المتحررة الصاعدة فى هذه الفترة الحيوية من تاريخ شعبنا العربى لتحقيق اهداف هذا الشعب ، كان الحافز الاساسى الذى دفعنى لكتابة هذا البحث بشكله هذا (3) » ويقول : «وقد جرى البحث فى هذا الكتاب على غير ما الفه الكثيرون ، فلاول مرة يدرس شعر الرصافى من وجهة نظر القومية العربية · ولاول مرة يدرس شعر الرفاصى فى الاشتراكية » (4)

وبعد فهذه دراسة موجزة لكتاب هلال ناجى عن « القومية والاشتراكية فى شعر الرصافى » · هذا الكتاب الذى يعد دليل عقلية ناضجة وذهن مستنير وثقافة شاملة ، والذى يعد كذلك نموذجا جديدا فى دراسة الشعراء وشعرهم

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة
استاذ اللغة العربية فى كليةالدراسات
العربية فى الجامعة الازهرية

(2) ص 26 الكتاب · (3) ص 225 الكتاب · (4) ص 210 الكتاب ·

ندوة القراء

رأى في الخرجـــــــات

بقلم : هلال ناجي

الخرجة ــ كما هو معلوم ــ هى القفل الاخير من الموشحة والشرط فيها ان تكون من الفاظ العامة وقد تكون عجمية اللفظ وقد كشفت الابحاث المتاخرة عن وجود خرجات رومانية فى بعض الموشحات الاندلسية •

لقد نشرت (الفكر) (1) الغراء نظرية للعلامــة ــ ايميليو غرسيه غومز ــ اراها غير صحيحة فيما اعتقد للاسباب الاتية :

1 ــ انها استندت على افتراض نظرى محض خلاصته ان هذه الخرجات تمثل بقايا الشعر الغنائى الرومانى الذى سبق الموشحات ، وهــو شعر افتــرض وجوده ــ بلا دليل ــ العلامة ــ ريبيرا ــ افتراضا نظريا ، وتخمينيا ، فاقره على ذلك العلامة ــ غرسيه ــ ، رغم ان النظرية كلها قائمــة على افتراضات محضة فاين هو النموذج الشعرى الرومانى الكامل الــذى تعــد (خرجــة) الموشح بقية منه ؟؟

2 ــ ان العلامة (غرسيه) قد استند فى دعم نظريته على تفسير كلام ابن بسام فى كتابه الذخيرة اذ قال متحدثا عن شاعر قبره :

« وكان يضعها على اشطــار ، غير ان اكثرهــا على الاعــاريض المهملــة غير المستعملة ياخذ اللفظ العامى والعجمى فيسميه المركز ويضع عليه الموشحة »

فابن بسام لم يصرح بان الشاعر ياخذ الخرجة من الشعر الغنائى الرومانى ولو اراد ذلك لقال انه ياخذ البيت او الشطرة وفرق كبير بين اللفظةوالشطرة

نص ابن بسام اذن لا يساعد على التفسير الذى ذهب اليه الاستاذ ــغرسيهــ القائل ان الموشح لم يكن فى الاصل سوى اطار جعل للاحاطة بخرجة رومانية كانت تؤخذ كما هى من التراث الشعرى للشعوب الرومانية المغلوبة علىامرها

---

(1) راجع مجلة الفكر ــ ديسمبر 1962 السنة 8 العدد 3 •

3 ـ ان مجرد كون الخرجة الرومانية موزونة وزنا عربيا لدليل آخر على انها ليست من الشعر الغنائى الرومانى ٠

4 ـ اذا لم تكن الخرجة من التراث الشعرى الرومانى ، بسبب انعدام الدليل ولان قول ابن بسام لا يساعد على هذا التخريج ولان وزنها العربى ينفى كونها شعرا رومانيا فما هى اذن ؟ اننا نقدم هنا وبكل تواضع ـ تفسيرنا للخرجة الرومانية فى بعض شعر الموشحات العربى ٠

ان الامة العربية قد جاورت عديدا من الامم والشعوب ٠ وقد نشأت عن هذه المجاورة ازدواجات لغوية كثيرة ٠ ففى المشرق نشأ شعراء كتبوا الشعر باللغتين العربية والفارسية منذ التقت الحضارتان والثقافتان فى بواكر العصر العباسى بل وايام العصر الاموى ايضا ٠

وفى شعر ابى نواس (الحسن بن هانىء) نماذج شعرية كتب بعض اشطارها بالعربية الفصحى وبعضها الآخر باللغة الفارسية كقوله :

يا غاسل الطرجهار للخندريس العقار
يا نرجسى وبهارى بده مرايك بارى

والطرجهار هو قدح الشراب بالفارسية ومعنى الشطر الاخير اعطنى مرة واحدة ٠

ومثله قول جلال الدين الرومى فى المثنوى :

جملة كفتند اى حكيم باخبر الحذر دع ليس يغنى من قدر
تاتوانى دم مزن اندر فراق ابغض الاشياء عندى الطلاق

ومعنى الشطر الاول يقول الناس ايها الحكيم المحنك ، ومعنى الشطر الثالث لا تبق لحظة على فراق ٠

ومثله قول حافظ شيرازى :

درونم خون شد از نادیدن دوست الا تعسا لايام الفراق

ومعنى الشطر الاول : باطنى صار دما من عدم رؤية الحبيب ٠

وكقول سعدى شيرازى فى كلياته :

توخون خلق بريزى وردى در تابى ندا نمت جه مكافأت باين كنايابى
تصد عنى فى الجور والنوى لكن اليك قلبى يا غاية المنى صابى

ومعنى الشطر الاول انت تريق دم الخلق على حين وجهك مشرق ، ومعنى الشطر الثاني لا ادرى اى جزاء تجد فى هذا الاثم .

لقد سمى هذا اللون من الشعر فى المشرق (الملمع) تمييزا له عن سواه وفيما بعد ظهرت فى المشرق ازدواجات اخرى بين اللغتين العربية والتركية والعربية والكردية فى الشعر العراقى خاصة ليس هنا مجال تفصيلها ونكتفى بنموذج من الملمع العربى التركى :

بـــدر بـــدا ببـدرة	سحـــير ليـــل حالـــك
يغشـى العيـــون نـــوره	اخجـــل بـــدر الفلـــك
قلت افنـدم كيـل بـره	منـــك اليـــك اشتكـى
فسل عضبـــا مرهفــــا	وقـــال وكيت قلت بكـى

والمعنى (كيل بره) تعالى هنا ، وكيت معناها اذهب وبكى معناها نعم .

والذى نريد ان نقوله هنا : ان كتابة ـ الملمع فى المشرق راجعة بالدرجة الاولى الى وجود شعراء يحسنون النظم بلغتين او اكثر فهم يملحون ويطعمون شعرهم بهذا اللون المبتكر الذى ابتكره المشارقة فى وقت مبكر جدا .

مثل هذا يمكن ان يقال عن الخرجات الرومانية فى شعر المغاربة والاندلسيين فهى اقفال كتبها شعراء عرب ـ اندلسيون ومغاربة ـ كانوا يحسنون اللغتين العربية والرومانية الدارجة معا فهم لم يقتبسوا هذه الخرجات من الشعر الغنائى الرومانى كما ذهب العلامة (غرسيه) وانما كتبوها هم ، لانهم فى الاصل كتبوا الموشحة باللغتين العربية والرومانية فالخرجة الرومانية اذن قفل لموشحة كتبها شاعر عربى بالعربية الفصحى ثم ختمها **بخرجة من نظمه هو باللغة الرومانية ليملح بذلك موشحته ويزيدها مسكا وعنبرا .**

فلا علاقة للشعر الغنائى الرومانى بذلك . ودليلنا على هذا بالاضافة الى ما تقدم نجمله فى قولنا : ان بعض الشعراء العرب فى المغرب طعموا موشحتهم ولمعوها (بخرجات) هى فى ذاتها مزيجة من اللغتين اى ان الخرجة هنا ليست اسبانية صافية وانما هى مزيج من العربية والاسبانية : ومثل هذه الخرجات لا يمكن تفسيرها الا بان الشاعر يتقن فى الاصل اللغتين معا ونظم خرجته بهما معا فى ازدواج لغوى ووحدة فى المعنى وبوزن عربى .

مثاله قول ابن بقى فى خاتمة موشحة له :

الب ديـــه اشت ديـــه	دى ذا العنصـــر حقــــا
بشتـرى مـــو المدبـــج	ونشـــق الرمـــح شقـــا

ومعنى هذه الخرجة بجملتها : هذا اليوم يوم فجرى انه يوم عيد العنصره ، سوف البس ثوبى المزين واشق الرمح شقا .

تم ان ابن سناء الملك قد جعل بعض خرجاته باللغة الفارسية ، فهل يصح القول بان هذه الخرجات منسوبة الى شعره من الشعر الغنائى الفارسى .

ومما يؤيد ويؤكد صحة وجهة نظرنا ما يشيع فى هذه الايام من شعر الانكلو آراب وهو مزيج من العربية والانكليزية يكتبه بعض شعراء عدن والمحميات .

نموذج انكلو آراب :

ايها الناس افيقوا	**انما الدنيا**	FINISH
كيف ترضون بعيش	**همنا رز و**	FISH
قاتل الله سجونا	**تجعل اللون**	REDDISH

⁂

فهل يصح القول بان الالفاظ او الاشطار الانكليزية الموجودة فى هذا الشعر قد انسربت اليه من الشعر الغنائى الانكليزى ؟ الجواب بالنفى طبعا .

والاصوب فى التفسير القول بانها حصيلة شعراء احسنوا اللغتين وكتبوا بهما معا .

⁂

انني اقدم شكرى لمجلة ــ الفكر ــ الغراء التى كانت دائما منارة من منارات الفكر وقلعة من قلاعه والتى اتاحت لقلمنا المتواضع أن يخوض فى مصطرع الاقلام .

واقدم عظيم احترامى للعلامة ــ غرسيه ــ مكبرا فيه علمه الواسع وبحوثه القيمة ومجهوداته المتواصلة الرائعة راجيا ان يتقبل هذه الكلمة بالروح العلمية المخلصة التى املتها ...

هلال ناجى

بريد القراء

نـــــــفوس ضــــــــائعة

قصة بقلم : البشير التلمودي

(لا أقدر أن انسى هذا الحلم الذي حطّم قلبي...
ان ذكراه المزعجة تتبعني طول حياتي وتخفي عن عيني بريق الحب !)

**

في ذلك اليوم، كنت أترقب احمد في حديقة "الورود" قرب النافورة المرمرية ؛.. كان اليوم ممطرا، ولكن رغم ذلك كنت أترقبه بفارغ صبر .. وترقبته طويلا، حتّى أنّني لم أعد أميّز بين دموع قلبي ودموع السماء...

ــ احمد لن يأتي...

وجلست على حافة النافورة المرمرية، عاجزة عن ترك المكان، والرجوع من حيث أتيت.

ــ لماذا... لماذا لم يأت ؟؟.

أخيرا... نفذ صبري، فقررت العودة.

وما ان وصلت أمام المسرح البلدي حتى صدمتني الحقيقة المرّة...

ــ احمد... و... هاجر ؟؟.

وبقيت انظر اليهما في دهشة عظيمة، بينما غمرتني موجة من الخجل والالم...

ــ آه، يا الـهي، هذا لا يعقل.. لا يعقل...

**

ولمّا كان الغد، التقيت بأحمد في ساحة الجامعة، فراح يسهم

بنظراته في خجل، كمن يحاول أن يتذكر شيئا، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه وقال :

— آسف كثيرا لعدم حضوري البارحة ياريم ... لقد أرسلني أبي لاقضي بعض الشؤون الشيء الذي جعلني أعود مؤخرا الى البيت..

وتساءلت آنذاك، كيف تجرّأ أحمد على مزج الكذب والابتسام معا ؟

فابتسمت أنا بدوري وقلت له في نفسي :

— "انظر جيدا ابتسامتي هاته، ولتكن دائما في مخيّلتك، حتى لا تنساها وحتى لا أخْدَعَ مرّة ثانية..." !

ولم أذكر ابدا لاحمد رؤيتي له مع هاجر، ولكن بقيت ألبّي دعواته في كل مرّة يضرب لي فيها موعدا، بوجه بارد كالمرمر...

— أراك يا ريم دائمة الغضب والنفور إزائي، ألحدّ هذا يصل بك الحقد ؟. من أجل اخلافي لموعد واحد ؟. ريم.. أرجوك.. إنني.. انّني لم أفعل ذلك عن قصد..

ولم انبس ببنت شفة، كنت وكأنّني أضع على وجهي قناع اللاوعي ولم يعرف منّي حقيقة صمتي ويأسي، حتّى حين انظر في عمق عينيه وأهمس في حقد مكتوم : "لاتكذب" !

وأصبحت حين اشاهد عشيقين يتنزهان في مرح، والغبطة تملأ قلبيهما،، ابتسم في سخرية وأقول : " ترقبا ... ستبدي لكما الايام الحقيقة الاليمة... وينقشع حلمكما اللذيذ..." !

**

وذات يوم، في خلال حفل نظّمه الزملاء، تقدّم منّي صديق يدعى سليم، وخاطبني باسما :

— ريم... أراك منذ مدة تحيين في عزلة ووحدة، فأين ابتساماتك وأين رقصك ؟.. أنا لا أرضاك أبدا على هاته الحالة... لذا فانا أدعوك للرقصة الموالية...

وأردت أن أعتذر.. ولكن أسرع سليم فجذبني من يدي في مسرح أشبه بمرح الطفولة وقال: – هيّا.. هيّا يا ريم... الى الرقص...

ولكن فجأة... شعرت بشخص آخر يجذبني نحوه قائلا:

– شكرا على حفاوتك بصديقتي يا سيّد سليم... أظنّ أن اللعبة قد تمّت... هيّا تعالي يا ريم...

وقبل أن ينطق سليم بحرف واحد، كنت بين ذراعي الشاب المجهول...

– "تراه كيف عرف اسمي؟"

لابدّ أن يكون وراء كل هذا أشياء غريبة... خصوصا وقد رأيت الشاب المجهول يتبادل وصديقتي هدى، النظرات والابتسامات...

– "لا شك أنه أخ لهدى!"

اثناء الرقص، كنا نقترب شيئا فشيئا من باب الخروج، وكم من مرّة قررت الفرار من بين يديه ... ووجدتني دون وعي انحني على أذن الشاب وأهمس:

– أظن أن هدى أرسلتك الى نجدتي.. شكرا.. هذا من حسن لطفك.. لذا.. لذا في استطاعتك الرقص مع فتاة أخرى.. فلربّما...

وحين تبيّن دهشتي وارتباكي، أسرع يقول وهو يربت على كتفي مداعبا:

– لم أرغب في الرقص مع غيرك حين رأيتك لاول مرّة... وكنت استدعيك من تلقاء نفسي، لو لم ترسلني أختي هدى اليك...

وعلمت بعد ذلك انه يدعى .. وحيد.

*

في أوّل الامر، وفي المرات العديدة التي كان يلقاني فيها وحيد، باسم الثغر، كنت أتخيّل في قرارة نفسي أن تلك الابتسامات وتلك الهمسات هي لاحمد... حبيبي الاوّل...

وفي السّويعات التي كنت اجتمع فيها مع وحيد على الشاطىء

أو في الغاب، كنت عاجزة عن ردّ كلماته المعسولة الدافئة التي تتخلّل سمعي في رقّة وعذوبة... وبدأت أشعر من أن قبلاته العديدة التي تلهب يدي ووجهي وفمي لاتزعجني...

***

وكانت أخت وحيد، مسرورة جدّا لصداقتنا.. فقد سمعتها تصرّح :
– كنت على علم من أن ريم ووحيد خلقا لبعضهما بعض.

***

وذات يوم، كنت فيه وحيدة في المنزل، سمعت جرس التليفون يرنّ في عنف. وما كدت ارفع السماعة الى أذني حتى سمعت صوتا ملهوفا عرفت فيه صوت سليم، وبلا مقدمات أخبرني قائلا :

– لن يكون مصيرك ياريم مع وحيد أحسن بكثير من مصير الوردة التي ذبلت... فطرحت.. وفي ذلك اليوم.. تذكري يا حبيبتي أنّني موجود للأخذ بيدك...

وقلت له في خبل وأنا ألهث :

– انت مخطىء يا سليم.. هذا.. لن يحدث أبدا مع وحيد..

ووضعت السمّاعة مكانها، وكلّ عضلة في كياني تختلج، والعرق يتصبّب على جبيني في غزارة.. "الوغد.. النذل.. الحيوان.. كيف طاوعه ضميره على أن يحول بيننا" !

***

ولقد كنت أمنع نفسي جاهدة، من الاجتماع بوحيد على انفراد قرب النافورة المرمرية، حتى لاأقع وجها لوجه مع ذكريات الماضي المؤلمة.. الى اليوم الذي اصبحت فيه الاشياء مسرحا للخزعبلات...

ورغم كل هذا، فقد شاءت الاقدار ان اجتمع بوحيد قرب النافورة المرمرية...

– هلا تزالين يا ريم تخشين الذكريات ؟

– .... ؟..

فوضعت رأسي على كتفه ولم أجب... بينما تساقطت من بين اهدابي قطرات من الدموع انحدرت على وجنتي في صمت...

– "سوف لن يعود ذلك أبدا. ولن يكون في حياتي مع وحيد ذرّة واحدة من الالم أو الحزن." !

وعندما طلب مني وحيد الزواج، تملكتني رعدة خفيفة وعقد لساني تردّد خفي...

– ارجوك يا وحيد.. امهلني قليلا من الوقت..

– قليل من الوقت ؟ لماذا ؟ فهل تترقبين شخصا آخر، أم أنك تخافين الذكريات ؟ أم...

– لا يا وحيد.. لا.. أنا لاأترقب أحدا.. حقا كان لي حبّ منذ شهور، ولكنّه ذهب ولم أعد أذكر منه شيئا...

ولكن لم استطع رغم كل ذلك أن أقول له الحقيقة الخفية، حتّى عندما أجبرني على الخضوع لقبلاته الجنونية التي لاتنتهي...

⁂

ولما كان الغد، التقيت بسليم وقد شدّ على شفتيه ابتسامة رقيقة، سرعان ما أخفاها وخاطبني في هدوء مثير :

– اراك تزحفين نحو الهاوية الجديدة... هذا ما أخبرني به وجهك الشاحب النحيل...

قال ذلك وأخذ يلتهم بنظراته تقاطيع وجهي، وسألني وعلى شفتيه بسمة ساخرة :

– أهذه هي الحقيقة ؟؟..

وظللنا برهة من صمت ثقيل ، ثمّ استجمعت شجاعتي وهمست "كم كنت احبك.. أما الآن .. وهتف وهو يقترب مني :

– من تعنين ؟ لست افهم...

وعبثا حاول سليم أن يحصل على الجواب المطلوب، ولم يبق امامه

الا ان يتبعني من بعيد وانا أسير وحيدة الا من همومي ؛ حتى اذا ما دخلنا حديقة النافورة المرمرية استدار نحوي وقال :

— موعدك معه هنا ؟

— نعم.

بدأت بعض قطرات المطر تتساقط، فشعرنا بازدياد الوحدة الثقيلة تملأ المكان، وأحسست أنا كذلك بلسعات البرد تجتاح جسمي...

فالتفت الي سليم وقال :

— ريم.. اتركيني أضع معطفي على كتفيك...

فشعرت وكأني رجعت تلك الفتاة الساذجة مع حبها المحطم... وتركته يفعل.

— لقد قال انه سيلقاني هنا...

— لاشك انها منعته...

— من ؟

— السكريتيرة الجديدة !

— السكريتيرة الجديدة ؟ هذا غير معقول... ولكن...

— والآن هل فهمت يا ريم ؟ ألم أقل لك أنه سيطرحك كما...

ولكن فجأة سمعت وقع أقدام على حصى المسلك.. فالتفت فاذا هو وحيد !

— ريم . ؟ .

واقترب مني وفي يده ورقة قائلا :

— هاته الورقة هي سبب تأخري... لقد قلت لسكريتيرتي بأن تعلمك هاتفيا بكل شيء.. ولكن.. لم يعد لكل هذا الآن أية فائدة...

— ولكن ... لماذا ؟...

— لماذا ؟ وتسأليني لماذا ؟

قال ذلك وأخذ يمزق الورقة في شهوة جنونية...

وتركني وانصرف ، ورحت ارقبه وأنا أحس كأن أفعى مجنونة تتلوى في أحشائي ....

انحنيت على اجزاء الورقة أجمعها ... فاذا هي عقد زواجي مع وحيد ... وفهمت كل شيء ...

ـ ولكن بعد فوات الاوان ، فوحيد لن يصدقني ... يا الهي ! الى أي حد كنت غبية ! لقد عمل سليم كل ما في وسعه لتحطيم عش سعادتي وصرح حبي ... فانتصر ...

وكالطفلة الصغيرة التي تقبل دميتها المهشمة ، أخذت في تقبيل أجزاء العقد والدموع تملأ عيني ... إلى أن شعرت بيدين تشدان على كتفي ... التفت فاذا هو وحيد يبتسم لي في براءة ...

فهمست بصوت باك كأنه صادر من وراء الافق البعيد :

ـ وحيد .. حبيبي .!

وانفجرت أبكي ...

فأمسك وحيد بأناملي يمطرها بقبلاته :

ـ ريم ... حبيبتي ! دعينا نشكر القدر .. نحن ما زلنا لبعضنا .!؟

وازداد بكائي ...

ـ سامحيني يا حلمي ... لم أكن أعرف شيئا عن ماضيك ...

فلم أدر ماذا أقول ، فقد اختفت الكلمات مع الدموع في صدري ... وأوشكت أن أفضى اليه احساسي آنذاك ، ولكن نظراتي التقت بنظراته المتلهفة ، فترقرق الحنان في صدري ، وابتسمت وقلبي يخفق في عنف ، ثم أخذت رأسه بين ذراعي وضممته الى صدري وهمست ومازلت ابتسم في خجل :

ـ هل تحبني ؟

فراح يتفحصني بعينيه في شغف حتى اذا طالعه وجهي الدامع ، أحاطني بذراعيه في رفق وحنان وقال :

ـ ريم ... حبيبتي ... كيف لا أحبك ؟؟ انك أغلى كنز في حياتي ! أنت اللحن الذي كنت أبحث عنه منذ فجر الحياة !..

وتفجر في صدرينا الهوى الجارف ، فملت برأسي على كتفه ، فأخذ يتحسس وجهي ويعبث بخصلات شعري في حنان ... ولم يفتش وحيد طويلا عن شفتي ، فقد شعرت وهو يقبلني في عنف ، من انني انتصرت على الذكريات القديمة التي كانت تملأ خاطري وتعكر علي سماء حبي ...

البشير التلمودي

ردود ســـــــريعة

• خبروها انى راحل للطفى عثمان

هو قصيد من الشعر الحر بما فيه من نقط وفواصل قدمه صاحبه بهذه الجملة : « الى من لا يقرأ الكلمات بل يتخذها وسيلة الى ما ورائها (كذا) وكان بودنا ان نجد « الشاعر » الناشىء قد وفى بما وعد ويكون بذلك قد كلفنا مشقة الفهم وعناء الكشف الباطنى • غير ان شيئا من ذلك لم يكن اذ كل ما فى القصيد واضح لا لبس فيه ولا يرمز الى شىء بل يعوزه مـا للوضوح من دسامة وعمق معنى وسلامة ذوق غير ان لهذا الشاعر الناشىء مزايا هى حقيقة بالتشجيع وهى امتلاكه للصياغة الشعرية والنفس الشعرى وهو أهم ما يمتاز به الشاعر وخاصة اذا كان فى اول خطواته • فليكتب فى المستقبل بحيث تكون الكلمات موحية بمـا فى نفس صاحبها من صادق الشعور واصيل الخيال وجميل النغم • فالى الامام •

• مات الموت لاحمد الطويلى

هى مسرحية قصيرة يدور الحوار فيها بين ثلاثة سكارى رابعهم لزم الصمت او يكاد • الغيبوبة كشفت لهم عن معنى وجودهم فتناولوا بالحديث غرضا من الاغراض التى طالما شغف به الشعراء والفلاسفة وهو « الحياة والموت » • كان من الممكن ان ينجح احمد الطويلى فتفوز مسرحيته بالنشر لولا هنات هو فى وسعه ان يتلافاها بسهولة تامة • هذه الهنات تتعلق اولا باللفظة والعبارة • فعلاوة على الاخطاء النحوية وغيرها هناك قصور فى تأدية الفكرة المطلوبة والتعبير عنهـا تعبيرا يشعرنا فى ايجازه واقتضابه بالجملـة التى تلقى من على خشبة المسرح والمسرح فن قبل كل شىء والفن يقتضى الجمال وجمال اللفظ فى ايقاعه وموسيقاه وجرسه من غير تكلف ولا تصنع • يمكن ان تقول ان الاشخاص سكارى فيجب ان تكون العبارة متلعثمة متعثرة فاقول ان البراعة فى جعلها جميلة فى تلعثمها رائعة فى تعثرهـا لان الحقيقة ـ كما ادعيت ـ قد انكشفت لهم فنفذوا الى عمق اعماقها ورأوها صافية لا شائبة تشوبها •

كذلك فان هذه الهنات تتعلق بالاراء التى تتضمنها المسرحية • يرفع الستار فنعلم ان « عبده » جار السكـارى الاربعة قد توفى فيتأسف عليـه القوم لانه لم يعرف طعم الخمر ولم يتنعم فى حياته ولكنهم عندما حللـوا

سلوكهم وقارنوه بسلوكه اتضح لهم انه ابقى ابناء واهلا هـو حى فيهم غير انه مات فالموت بالنسبة اليه موجود اما هم فبلا اهل وبلا ابناء فيتمنون الموت ولكنهم لا يموتون فكان الموت قد مات بالنسبة اليهم • هذا ما يفهم من المسرحية ولعله غير ذلك لان بعض الغموض يكتنف الحـوار • فكيف يموت الموت فينساهم وقد فارقهم كل ما فى الحياة من نشاط واندفاع ؟ هم اموات اذن • أم ماذا ؟ يقول ابو الطيب المتنبى

تمرست بالآفـات حتى تركتهـا تقول : أمات الموت ام ذعر الذعر ؟
واقـدمت اقـدام الاتـى كـأن لى سوى مهجتى او كان لى عندها وتر

فالفهم الفهم • والوضوح الوضوح •

واخيرا نحثك على الاخذ بهذه الملاحظات والكتابة ثانية فى هـذا الغرض ونأمل لك النجاح •

• ثورة بقلم الهاشمى الخزاوى

قصيدك « ثورة » مستقيم الوزن منغم ، موقع لا شك فى ذلك غير انه عبارة عن الفاظ مرصوفة لا معنى وراءها ولا خيال فيها • فهل عملك هذا شعر أم نظم أم ماذا ؟ فالشعر ليس هو اوزان تتقن وزحافات وعلل تحفظ وعروض وقافية بل هو عاطفة طافحة وخيال مجنح وصور بديعة وفن جميل ثم هو بعد ذلك موسيقى ونغم •

وكذلك يصح القول فى قصيدك الثانى : **سوسة فى ابتهاج**

• الحبيب الهولة : يوم فى حياتى

قصصت علينا يوما من حياتك فيه كآبة وحزن يذكرنا بأدب الرومنطقيين ونظرتهم المبهمة المتشائمة الى الحياة • وكان بودنا ان نطلع فى هذه الصفحات الثلاث على تجربتك واضحة المعالم عميقة المعنى نافذة الى صلب الحياة بعيدة عن الميوعة وفساد الذوق معنى ومبنى •

• سعد ابو خالد : لست أبكى لفهم

القصيد غير موزون ولا موقع ومعناه مبهم غامض والعواطف فيه باهتة • انصحك بقراءة وحفظ الكثير من الشعر مع التروى فيه ثم تتصدى بعد ذلك الى قول الشعر •

• **حنين – لسعد الغزال**

قصيدة ضعيفة من جميع النواحى نزلت فيها كثيرا عن مستواك المعتاد ٠

التزمت رباعية كافية على بحر البسيط ترددها بعد كل رباعية :

عامان ، قد اضرما نيران ذكراك ومددا فترة من عمرى الباكى

وانسيانى من الاشياء اعظمها وانت ٠٠ انت حياتى ، لست انساك

وجعلت الرباعية الثانية على بحر الرمل ثم رباعيتين على بحر الرجز ، ثم رباعية لا تدخل تحت اى بحر من بحور الشعر ، وختمت برباعية كافية خرجت فيها من بحر البسيط الى بحر الكامل :

قلبى بكى ٠٠ ولقد سرى واتاك وحكى وحدث واشتكى وراك

واعاد لى شوقا يفسره البكا عند اللقاء اذ عبرت عيناك

هذا اضطراب كبير من حيث الشكل العروضى بالاضافة الى التعابير **الصحفية النثرية البسيطة** (ورغم ذلك) (عندئذ) (حرارة الحب فى ارتفاع) **الخ** ٠٠٠ اضف الى ذلك الاغلاط العروضية :

(وفرق الدهر سكناى وسكناك) فالوزن لا يستقيم الا هكذا (سكنايا) وهذا خطأ

وكذلك قولك : (ويغمر حياتنا الخلود) والوزن لا يستقيم الا هكذا (ويغمرو) وهذا لا يجوز ايضا ٠٠

هذا بالاضافة الى بساطة التراكيب وفسادها : (ورغم ذلك ان الله يرعاك) (وفرق الدهر سكناى وسكناك) ٠٠٠ الخ

اما الرباعية التى لا تدخل تحت اى بحر فهى :

حرارة الحب فى ارتفاع
والكون يغمره الشعاع
والنفس بالحب فى صراع
فهل اعود الى البقاع

ونطمئنك بان سلة مهملات الفكر لا يدخلها الا الغث الذى لا يستحق النشر والذيوع ونحن ما زلنا مستعدين لتشجيعك والاخذ بيدك وما زلنا ننتظر منك نتاجا احسن من انتاجك الاول مع الشكر على رسالتك اللطيفة ٠

• **عامر سحنون القيرواني** ـ ان قصتك (الامل الضائع) التى وصفت بها فاجعة ام فى فيضانات قابس كانت مؤثرة وقد حاولت أن تصف فيها عواطف الام المنكوبة ، ولكن لغتك لا تزال بسيطة واسلوبك القصصى ساذج فاكثر من التمرين على كتابة القصة فان مستقبلك فيها يبشر بالخير

• **ناجى جوادى (القيروان)**ـ قصيدك (امسى ويومى) كثير من ابياته غير موزون مع خلل فى بعض التعابير من الناحية اللغوية • ننصحك بمراجعة وبالتمرن على النظم حتى يستقيم لك الشعر •

• **الحبيب القرقنى** ـ قصتك (صرخة مسموم) جميلة الوصف الا ان لغتها غير سليمة واكثرت فيها من المبالغات والالفاظ الضخمة والاستعارات الساذجة فى غير محلها • حاول ان تتخلص فى المستقبل من المجازات والاستعارات • وان تركز موضوعك على أساس بداية وخاتمة حتى لا تنزلق الى تكرار المشاهد والاوصاف •

تصدر شهريا بتونس

مديرها المسؤول : محمد مزالى

رئيس التحرير : البشير بن سلامة

المراسلات : صندوق البريد 556

الحساب الجارى بالبريد 33769

تونس

اضواء الفكر

• الجامعة التونسية تكبر شخصية لويس ماسينيون

عقدت الجامعة التونسية يوم السبت الثانى من فيفرى ندوة بقاعة ويليام مرسى (كلية العلوم) لاكبار شخصية المستشرق ماسينيون وقد حضر هذه الندوة السيد كاتب الدولة للتربية القومية وجمع من اساتذة الجامعة وطلابها ـ فبدأ الاستاذ أحمد عبد السلام بتقديم المشاركين واسند الكلمة الى الاستاذ نوشى استاذ التاريخ بالجامعة التونسية فاعتنى بتحليل وثيقة تاريخية كتبها ماسينيون أيام كان ضابطا فى الشرق وأودعها ملاحظات تنبىء عن ذكاء وحدس غير معهودين ـ ثم وقف الاستاذ بلاشير ورسم فى لهجة مؤثرة شخصية استاذه وصديقه ماسينيون ، وبعده قدم الاستاذ بويحيى بحثا عن (الفتوة) عرف فيه بآراء الاستاذ ماسينيون فى الموضوع لان صاحبها لم يتمكن من كتابتها ـ وختم الندوة الاستاذ أحمد عبد السلام بالحديث عن أعمال ماسينيون فى ميدان الصوفية ·

• النشــاط الادبى

يمتاز شهر فيفرى بالوان مختلفة من النشاط الادبى أهمها المحاضرات فمن نشاط لجنة رادس الثقافية :

ـ شاعر تونس قباد و : محاضرة للاستاذ محمود شمام 14 فيفرى

ـ الشعر بين العامية والفصحى : محمد المرزوقى 19 فيفرى

ومن نشاط نادى عزيزة عثمانة :

ـ تهذيب النسل : ادارت المناقشة فتحية مزالى وشارك الدكاترة توحيدة بن الشيخ والعيارى وحشيشة وسليم عمار ومحمد بن طيب والاستاذ الصباغ

ـ حرية ومسؤولية : محجوب بن ميلاد 15 فيفرى

ومن نشاط دار الثقافة :

ـ الدراسات الاسلامية فى المانيا : د· همرشمين الاستاذ بجامعة سربروك 21 فيفيرى

• غلاف مجلة الاذاعة

اعتادت مجلة الاذاعة اخراج صورة على غلافها للتعريف والتشجيع فمرت بمختلف الحرف والهوايات وظهر على غلافها المغنى والراقص والرياضى والسياسى والرسام ولكنها لم تلتفت الى الادباء الا بعد نعيهم لتأبينهم ·

أليس الادب شؤما على أهله ؟

• **أضواء على الموسم المسرحي**

قدمت فرقة « المسرح الشعبي » خلال شهر جانفي ، في خمس حفلات مسرحية « غلطة » او « اشكون يغلب النساء » وهي فكاهية خفيفة مقتبسة عن « اوسكار » للمؤلف الفرنسي كلود مانيي Claude Magnier

ولئن كنا نحبذ طريقتي الترجمة والاقتباس في هذه الفترة التي نشكو فيها فقرنا من ناحية التأليف الصالح فانا نهيب بالمقتبسين ان يتحروا في اختيار المسرحيات التي يعرضونها على جمهورنا التونسي المسلم حتى لا تكون منافية لما عهدناه في وسطنا من عادات واخلاق ·

فمسرحية « غلطة » مثل « ولد اشكون ها المغبون » و « الغيرة تذهب الشيرة » و « ياطبيب العميان » وغيرها من هذا النوع المستهتر لا تمت الى واقعنا بصلة ، بل نعتبرها مخلة بالاخلاق الفاضلة التي نود ان يعمل المسرح على ابقائها والدفاع عنها · واقبال الجمهور على هذا النوع من المسرحيات ليس بالحجة على حسن اختيارها · ويجب ان نذكر مرة اخرى الفرق المسرحية بواجبها الاجتماعي وبما نترقب منها من مقاومة التخلف ببلادنا ولو ادى بها هذا العمل الى التخفيض من ارباحها ·

وقد عثرنا اخيرا على عدد قديم من مجلة « الشهر » المصرية الغراء قرانا فيه دراسة للناقد الكبير الدكتور محمد مندور عنوانها « **المسرحية بين الترجمة والاقتباس والاعداد** » جاء فيه : « ونحب ان نبدأ بالتنبيه الى خطورة ما يسمى بالاقتباس ، وبخاصة الخفي المتنكر منه · فهو لا يخرج عن كونه **سرقة** لا يمكن ان يبيحها مجتمع يحترم نفسه وبخاصة اذا ذكرنا ان الاقتباس المستتر لا يعمد الا الى الرديء الخامل غير المشهور من المسرحيات الاجنبية ونحن اذا كنا نحرص على ان نستفيد من خبرات الغير فيجب ان تكون استفادتنا من روائع ذلك الغير لا من انتاجه المنحط « ····· » ···· وليكن الاقتباس من روائع الاداب العالمية التي قد يرى المقتبس انه من الخير والحكمة ان يأخذ الفكرة ليعيد كتابتها **على نحو يتفق مع بيئتنا الخاصة ومشاكلها المحلية او الانسانية العامة او مع معتقداتنا واسس حياتنا**

فهل فكر مقتبسو ولد اشكون ها المغبون ، ويا طبيب العميان و « اشكون يغلب النساء » في هذه المبادىء عندما قرروا قلب مسرحيات « عندما يظهر الولد » والوجه والقفاء » واوسكار وادخالها الى ادبنا الشعبي ؟

• **من « فلكلور » مسرحنا**

كان المرحوم الطاهر ابن الحاج يمثل بعض ادواره الحماسية · فاخرج مسدسا وصوبه نحو الممثل الاخر واطلق ··· لكن المسدس بقى صامتا ··· فاستمر ابن الحاج قائلا : « لقد كذب الفرد »

• **شهادة من لبنان**

استجوب مندوب مجلة باريس ـ عدد 63 ـ فيفرى 1963 ـ الاست

مؤسس « الندوة اللبنانية »واحد كبار الادباء اللبنانيين عن نشاطه وانجازات مؤسسته ومما جاء فى هذا الاستجواب سؤال حول اتصالاته بشمال افريقيا حوالى سنة 1949 فاجاب الاستاذ الاسمر بقوله :

ـ قمت برحلتى الى تونس والمغرب بعد ثلاث سنوات من تأسيسى «الندوة اللبنانية» فى بيروت وكان القصد من تلك الرحلة التعرف على الواقع الثقافى فى هذين البلدين · وأذكر اننى قمت باتصالات عـدة بالمسؤولين فى ذلك العهد من فرنسيين ووطنيين ممن يضطلعون بمقاليد الامور هناك · ولعل المصادفات هى التى ساعدت فى أن ألتقى **بالحبيب بورقيبة** وبسلطان المغرب رحمه الله وبابنه الشاب الحسن ·

أما فى تونس فقد لمست توقا عميقا عند الشباب فى اللجنة الثقافية فى الحزب الحر الدستورى الجديد ـ توقا قدرته وأثر فى نفسى كبير التأثير · وانى أذكر أن هؤلاء الشباب أسســوا فى تـونس فى السنـة التى تلت ، « الندوة التونسية » على غرار « الندوة اللبنانية » ونظموا موسم محاضرات لمعالجة قضايا بلادهـم · وقـد طبعوا هـذه المحـاضرات فى نشرات كانـوا يرسلونها الى فى بيروت ·

ولو شئت أن ألخص انطباعاتى فى هذين البلدين لقت : **أن ما لمسته فى نفوس من عرفت** وصادقت كان ينبىء بما **هما عليه اليوم من نهضة ورغبة فى التقدم المطرد** ·

• محمد ديب يحصل على جائزة الاجماع

منحت اللجنة الادارية للجنة الوطنية للكتاب فى فرنسا جائزتها الاجماعية للكاتب الجزائرى محمد ذيب على جملة مؤلفاته ·

وقد اعلن عن نتيجة هـذه الجـائزة ـ التى لا تقرر الا باجماع اصـوات اللجنة ـ فى مقهى « البحر المتوسط » · ومؤلفـات محمد ذيب ـ هى كما يعلم القراء ـ : فى المقهى ـ الظل الحارس ـ الدار الكبيرة ـ حرفة النسيج ـ صيف افريقى ـ من يتذكر البحر ؟ ـ

• المعرفـة

اتصلنا بالعدد الحادى عشر للزميلة السوريـة الراقيـة «المعرفـة» التى تصدرها وزارة الثقافة السورية ولا يسعنا بعد تصفح هذا العدد والاعداد التى سبقته الا تهنئة اسرة «المعرفة» وخصوصـا الزميل فـؤاد الشـائب رئيس تحريرها ـ على ما بلغته من مستوى مشرف وما وفقت اليه من خدمة للثقافة العربية خاصة والثقافة الانسانية عامة ·

ولعل أخص خصائص هذه المجلة رصانتها وانصرافها الى جوهر القضايـا من دون تعصب أو طيش مما الفناه من سوء الحظ فى الكثـير فى عدد كبير من النشريات التى تسمى نفسها «مجلة ثقافية» وتخلط بين خدمـة الادب وترديد الشعارات و « الضعف » أمام غبن « المحبات الغالية » او سهولـة « الديماغوجية »

• **وثيقة تضاف الى ملف قضية « اللغة العامية والادب »**

هل تعلم أن المباحث (جويلية 1944)رحبت بانتاج علي الدوعاجي المكتوب باللغة العامية ؟ لعله يفيد قراءنا ـ وخاصة الشباب منهم ـ ان نورد لهم ما علقت به هذه المجلة الراقية التي لا يطعن أحد فيما قدمته للادب العربي والتونسي خاصة من خدمات جليلة وما دافعت به في حماس وتفان عن اللغة العربية عما نظمه الشاعر علي الدوعاجي :

عاش يتمنى في عنبة	**مات جابوله عنقود**
ما يسعد فنان « الغلبة »	**الا من تحت اللحود**

هذا طالع الاغنية التي نظمها الدوعاجي في الايام الاخيرة والتي هي من النوع الذي ابتدعه صديقنا ابتداعا في الادب العامي ، **هذا الادب العامي الذي يحتقره الناس للغته على أنه يوجد فيه من عيون الشعر ما يقصر عنه الكثير من « العباقرة » و « النبغاء »** ـ (ولا تخطىء فتقرأ الببغاء) ـ والاغنية موضوعها وصف لحال الفنانين من شاعر ومصور وممثل وملحن الخ ••• وكيف يعيشون أشقياء مجهولين مغمورين ـ كعلي الدوعاجي نفسه ـ لا ينالهم من الناس الا التفات خفيف فيه شيء من الشفقة يكاد يكون أمر من الاهمال وأشد من الاحتقار ، ثم هم يموتون فاذا هم قد اصبحوا فجأة من «العظماء» يتهافت الناس على تمجيدهم واحياء ذكراهم بعد أن أماتوهم باهمالهم وقلة تقديرهم ـ كالشابي لم يشتهر الا بعد موته ، وكنور الدين بن الرشيد الممثل الذي نعي أخيرا وبدأ يظهر الاسف عليه والتحدث عن مقدرته الفنية التي لا مثيل لها ••• والتي لم نسمع بها قبل أيها القارىء ••• لانه من الحق انه :

ما يسعد فنان (الغلبة) الا من تحت اللحود

ونضيف أنها وثيقة تفيد ايضا ما كانت عليه حالة الادباء والفنانين قبل الاستقلال وقلة التشجيع والاهمال ، ومن سخرية القدر ان الدوعاجي لم يلبث أن كان مصيره مصير «فنان الغلبة» الذي وصفه واجاد في وصفه والتعاطف معه •

الفهـــرست

العـدد السادس ـ مارس 1963 ـ السنـة الثامنـة

الفكــر
مجـلـة ثقـافيـة

تصدر بتونس شهـريا
مـؤسسهـا ومديرهـا المسؤول
محمـد مــزالى
رئيس التحرير
البشير بن سلامة

الادارة : 13 نهـج دار الجلـد ـ تـونس
تليفون : 778 260
الحساب الجارى : 33769 تونس
العنـوان : صندوق البريد 556 تـونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهـر اوت وسبتمبـر
- قيمـة الاشتـراك السنـوى :
  اشتراك عادى فى تونس دينار و 200م
  اشتراك الانصار 3 دنانير
  فى المغرب وليبيا دينار ونصف
- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بـريـديـة بـاسم المجلـة او يصب فى حسابهـا الجـارى
- المـراسلات تكـون جميعـا بـاسم : مدير مجلـة الفكـر صندوق البريد عدد 556 تـونس
- الرسائل لا تـرد نشرت ام لم تنشر

EL FIKR - Revue culturellemensuelle - 8e année - N° 6 MARS 1963

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المالطيين ـ تونس

تـوزع هذه المجلة الشركة القـومية للنشر والتوزيـع